

منورة كريدية

عواصف النسيان



دار النهضة العربية

عَوَاصِفُ النِّسْيَانِ

مروءة كربنية



دار النهضة العربية

الرقم :
اسم الكتاب : عواصف النسيان
المؤلف : مروة كريدية
الطبعة الأولى: 2013

دار النهضة العربية
بيروت - لبنان

الطريق الجديدة مقابل الجامعة العربية - كلية طب الإنسان - ط/1
تلفون: 854161 - 1 - 961 +
فاكس: 735295/736071 - 1 - 961 +
ص.ب 0749 - 11 رياض الصلح
بيروت 072060 - 11 لبنان
بريد الكتروني: e-mail:darnahda@gmail.com

© جميع حقوق الطبع محفوظة
ISBN 978-614-402-

عدا حالات المراجعة والتقديم والبحث والاقتباس العادية، فإنه لا يسمح بإنتاج
أو نسخ أو تصوير أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة
مهما كان نوعها إلا بإذن كتابي.

Marwa Kreidieh

E-mail: Marwa_kreidieh@yahoo.fr

إهداء

إلى امتدادِ نورِ الصَّفْوَةِ هِبَةِ العُصُورِ
إلى الأرواحِ النَّبِيلَةِ التي عَانَقَتْ رُوحِي

إلى القلوبِ التي سكبتِ الأسرارَ في قلبي
إلى أَحِبَّائِي ... رُودادِ العِشْقِ والجَمالِ

إلى الكِبَرِيَّاتِ الأَحْمَرِ مُحْيِي الدِّينِ ابنِ عَرَبِي
إلى نَايِ جَلالِ الدِّينِ الرُّومِي
إلى طُيُورِ فَرِيدِ الدِّينِ العِطَّارِ

إلى كُلِّ مَنْ يُدِينُ بِدِينِ الحَبِّ
أُرفَعُ هذه الخواطرَ
نَسْمَةً مِنْ عَوَاصِفِ حَيَاتِي

إلى الوليدِ مَنْصُورِ الَّذِي خاضَ تَجَرِبَةَ الكِتَابِ جَنِيناً
وَوَاكِبَ وَلادَتَهُ رَضِيعاً

مِنْ وَحْيِ الْعَوَاصِفِ

عَوَاصِفُ النَّسِيَانِ سِيرَةُ ذَاتِ حِكْمَةٍ مِنْ أَرْمَنَةِ طَفَتْ أَحْدَاثُهَا
ثُمَّ عَبَّرَتْ إِلَى صَمْتٍ مَنَسِيٍّ، تَرَوِي قَدْرًا حَاكَتْهُ شُخُوصٌ وَكَائِنَاتٌ
حَرَّكَتُهَا عِلَلٌ فَتَبَلُّوْرَتْ فِي الْحَيَاةِ أَفْعَالًا وَمَوَاقِفَ، وَلَمْ يُسَبِّبْ انْصِرَامُ
الْوَقْتِ فِي انْصِرَافِ شَيْءٍ مِنَ الْحَصَادِ بِحُلُوهِ وَمُرَّهِ.

سَرْدٌ لَا يَسْتَهْدَفُ ”العَقْلَ المَاضِي“، وَلَا ”جِلْدَ الذَّاتِ“ وَلَا
”إِدَانَةَ“ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ، وَلَا الْإِفْصَاحَ عَنْ تَارِيخٍ عَبْرَ، بَلْ يَمْضِي
إِثْرَ نُورِ الْمَحَبَّةِ يَكْشِفُ أَنَّنا نَسْتَحِقُّ هِبَةَ الْوَاحِدِ بِمَنْحِنَا الْحَيَاةِ، وَأَنَّ
كِفَاحَنَا لَيْسَ إِلَّا سَعْيًا لِإِنْضَاجِ خَبَرَاتِ الرُّوحِ فِي مَسِيرَتِهَا.

وَيَتَوَهَّ الْفِكْرَ بَيْنَ ”حَقِيقَةٍ“ تَهْمِسُ أَنَّهُ لَيْسَ بِوَسْعِ الْمَرْءِ أَنْ
يَخْتَارَ ”الْأَفْضَلَ“، لِأَن تَقْيِيمَهُ عَلَى الظُّرُوفِ وَالْوَقَائِعِ وَالْخَبَرَاتِ
يَرْتَكِزُ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ اخْتِيَارُ مَنْقُوصٍ؛ وَبَيِّنَ ”وَاقِعٍ“ يُوَكِّدُ عَلَى
أَنَّ نَامُوسَ الْعِلَّةِ وَالْمَعْلُولِ سَرْمَدِيٌّ، وَأَنَّ مَا يَزْرَعُهُ الْبَشَرُ إِثَّاهُ
يَحْصُدُونَ !

وَأَيًّا تَكُنْ حَقِيقَةُ الوجود، فإنَّ التَّحرُّرَ من أَنَانِيَّةِ "الشَّخْصِيَّةِ"
وَشَكِّهَا رَخَوفُهَا بِمَنْحِ الحَيَاةِ حَيَاةً وَمَغْزًى وَيَفْتَحُ أَفَقًا نَحْوَ اللّائِهَاتِي
الخالِد.

وَسَوَاءَ اخْتَرْتُ "الأفضل" أم "الأفضل" اختارني فأني
اسْتَوْدَعْتُ عَمْرِي عَلَى جَنَاحِ تَذَابِيرِ قَدَرٍ مَقْدُورٍ، مُؤْمِنَةً أَنَّ خِبْرَةَ
رُوحِ الْإِنْسَانِ تَكْمُنُ فِي دَهْشَةِ تَأْمُلِ الحَيَاةِ، الَّتِي يَكْمُنُ غِنَاهَا فِي
تَصَارِيفِ عَيْشِنَا اليَوْمِيِّ بِيَدِ أَنْ قِيَمَتِهَا تُوجَدُ فِي تَكَالُيفِ المَحَبَّةِ .

إِنَّ تَدْوِينَ هَذِهِ السَّيْرَةِ اجْتِهَادَ خَلِيمٍ لِمُوَاجَهَةِ مَصَاعِبِ العَيْشِ
مُوَاجَهَةً بِنَاءً، وَجَهْدَ دُؤُوبٍ لَوْعِي النِّوَايَا السَّيِّئَةِ والطَّيِّبَةِ جَمِيعِهَا،
وَفَهْمَ مَشَاعِرِ الكَرَاهِيَةِ الَّتِي تَتَلَاشَى عَلَى الْحَقِيقَةِ دُونَ جَهْدٍ بِحُكْمٍ
نَضَجَ الْحِكْمَةِ وَتَمَامِ التَّأْمُلِ وَاكْتِمَالِ المَحَبَّةِ.

إنَّهَا مُحَاوَلَةٌ جَرِيئَةٌ لِلتَّخْفِيفِ عَنْ كَاهِلِي الْأَوْزَارِ فَمَا آلَمَ
الْمَاضِي وَالْأَخْطَاءُ إِلَّا جُزْءٌ مِنْ خَلَقَاتِ الْكَمَالِ وَسُلْسَلَتِهِ، فَيَحْمِلُ
الْحَاضِرُ الْمَزْدَهْرُ فِي رَحْمِهِ عَوَالِمَ الْإِخْفَاقَاتِ بِصَحْبَةِ ذَاتِ أُنْبُتٍ
إِلَّا وَأَنْ تَكُونَ الْخِبْرَةُ السَّمَاوِيَّةُ وَالْمَشَاعِرُ النَّبِيلَةُ وَالْخَوَاطِرُ النَّقِيَّةُ

والتسامح والمحبة أداة تعبيرها .

عَوَاصِفُ النِّسْيَانِ سيرة بنت نُورٍ ترى العيش كَوَرْدَةٍ
أزهرت في الرَّبِيعِ كَمَا تَرَى الموت انعتاقَ بَتْلَانِيَّهَا وانطلاقها مع
نسمات الخريف .

وَإِنِّي الْيَوْمَ أَلْقِي بِظِلَالِ هَيْكَلٍ وَ بَعْضًا مِنْ سِيرَةِ الذَّاتِ
وَكَيْنُونَتِهَا عَلَى دَرْبِ الْبَسِيطَةِ حَيْثُ أَنَّ لِي شَمْسًا لَمْ تُشْرِقْ بَعْدَ !

«بنت النور»

مروة كريدية

رِيَّاحُ الْعَوَاصِفِ

يَتَبَلَّوْهُ هَيُوبُ عَوَاصِفِ النِّسْيَانِ مِنْ خِلَالِ فُصُولٍ ثَلَاثٍ:
 طِفْؤُةٌ وَمُزَاهِقَةٌ وَشَبَابٌ، وَالْفَصْلُ الْأَوَّلُ أَبْطَالُهُ شُخُوصٌ يُؤَلِّمُهُمْ
 سِرْدُ الْوَقَائِعِ وَكَشْفُ الْأَحْدَاثِ وَاكْتِنَاهُ الْعَبْرِ، بَيِّدَ أَنَّهُ مَخَاضٌ يَنْضِجُ
 حِكْمَةً تُوْدِي إِلَى اكْتِمَالِ الْمَحَبَّةِ. كَمَا أَنَّ سَيَاقَهُ الْأَدْبِيَّ وَأَسْلُوبَهُ
 السَّرْدِيَّ قَدْ لَا يَجَارِي إِيقَاعَ الرَّمْزِيَّةِ فِي النُّصُوصِ الْوَارِدَةِ فِيهَا بَعْدَ.

وَتَهَبُ ثَانِي الْعَوَاصِفِ مَعَ بَدَايَةِ تَفْتَحِ بِنْتَ النُّورِ عَلَى الْحَيَاةِ
 ثَوْرَةً نُسِجَتْ مِنْ رَحِمِ أَلَمٍ سَبَّبَهُ مَدَّعُو التَّدِينِ مِنْ حُرَاسِ الشَّرِيعَةِ
 وَأَصْحَابِ الشُّرُورِ فَتَنْتَفَضُّ بِوَجْهِهِ وَقَعَ الْخُنُوعُ وَزَيْفُ السُّلْطَانِ
 لَتَعْبِرَ إِلَى حَيْثُ الْمَحَبَّةِ نُورُ الشَّمْسِ ...

أَمَّا «مَنَازِلُ الْإِخْتِبَارِ» فَتَعْبِرُهَا عَلَى جَنَاحِ رِيَّاحٍ مَتَفَرِّقَةٍ،
 تَرَصِّدُ مَخَاضَاتِ النُّضْجِ وَتَكْتَسِبُ النَّفْسَ إِشْرَاقًا وَسِعَةً لَتَرْتَقِيَ فِي
 شَوْقِهَا الْأَعْلَى حَتَّى تَتَحَرَّرَ مِنَ الشُّوْقِ نَفْسُهُ انْعِتَاقًا.

هذه النصوص تُعانق نَهْجًا عرفانيًا يعتمد الرؤيا والحدس
وَيَمْزِج الرومانسية بالحدائية، ويوائم السرد الواقعي بالرؤيوية
الصوفية الذي يتجاوز ما هو أعمق من الاعماق وأسمى من السامي.
وتتجلى الواقعية في سرد وقائع حياة فتاة عانت من بؤس
النفوس المحيطة بها لينطوي السرد في مقاربة ابداعية صوفية متصلة
بموسيقى كونية ينزاح فيها الزمان والمكان حيث إيقاع الوجود،
فتكتمل السردية بالغنائية في مقاربة «برزخية» تأملية سرّية
تتصل بالعبر العرفانية في زمن تكاثرت فيه الصغائر وتراجعت فيه
المضامين لفهم ماهية خبرات الانسان والسعادة والوجود .

امْتِنَانٌ وَعِرْفَانٌ

أَتَوَجَّهُ بِخُشُوعِ قَلْبٍ وَبِامْتِنَانٍ عَمِيقٍ
إِلَى كُلِّ مَنْ سَاهَمَ فِي ثَمَاءِ خَيْرَتِي بِإِخْفَاقَاتِهَا الْمَوْجِعَةِ وَنَجَاحَاتِهَا
الْمُثْمَرَةِ

إِلَى مَنْ وَكَبَّنِي بِحِكْمَةٍ حَكِيمٍ حَلِيمٍ...
إِلَى مَنْ أَمَدَّنِي مِنْ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ أَصْحَابِ الصَّمْتِ ...
إِلَى مَنْ وَهَبَنِي بَرَكَاتِ الشِّفَاءِ مِنْ نُدُوبِ ذَاكِرَةِ مَتَأَلِّمَةٍ...
إِلَى مَنْ يَرْبِطُنِي بِهِمْ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْأُخْرَةِ بِكَثِيرٍ...



بنت النور
عقاة من نون الأحرار ولدت

ولادة دراماتيكية!

من نُونِ التَّكْوِينِ إِلَى تَاءِ التَّأْنِيثِ

وُلِدَتْ «بنت النور» فِي بَيْرُوتِ عَصْرًا، مَعَ اكْتِمَالِ قَمَرِ
تَشْرِينِ الْأَوَّلِ بَذْرًا، بَعْدَ ظَهْرِ الثَّلَاثَاءِ فِي غُرَّةِ أَكْتُوبَرِ الْمُوَافِقِ
لِمُنْتَصَفِ شَهْرِ رَمَضَانَ، مِنْ عَامِ النَّمْرِ وَفَقَ التَّقْوِيمِ الصِّينِيِّ!

لَمْ تَكُنْ تَدْرِي عَلَى الْحَقِيقَةِ إِنْ كَانَ لِلْبَدَنِ عَلَيْهَا سُلْطَانٌ، بِيَدِ
أَنَّ حَدْسَهَا يَشِي بِأَنَّ لَهَا مَعَ الْقَمَرِ شُؤُونًا وَ شَجُونًا، فَمَخَاضُ الْحَيَاةِ
يُزْهِرُ مَعَ الْمَدِّ الْعَالِيِّ لِلْبَحَارِ، وَمَا مِنْ طَاقَةٍ فِي الْكُونِ إِلَّا وَلَهَا عَلَى
طَاقَاتِ الْبَشَرِ تَأْثِيرٌ، وَهِيَ تَشْعُرُ بَعَمَقِ ذَلِكَ فِي وَجْدَانِهَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ
لَتَتَحَرَّى ذَلِكَ عِلْمِيًّا وَفَلَكِيًّا مَعَ تَوَالِي الْأَيَّامِ وَتَعَاقِبِ الْأَعْوَامِ.

وَعَبَّرَتْ مِنْ غَالِمِ الْحَيَاةِ الْبَيُولُوجِيِّ إِلَى الْمُجْتَمَعِ الْبَشَرِيِّ عَبْرَ
عَمَلِيَّةٍ قَيْصِيرِيَّةٍ شَاقَّةٍ خَضَعَتْ لَهَا وَالدَّهْنَاءُ أَجْرَتَهَا الطَّبِيبِيَّةَ «المرموقة»
سَلَمَى قَبَّانِي فِي مَسْتَشْفَى الْأَطْبَاءِ الْوَاقِعَةِ فِي مَنطَقَةِ الظَّرِيفِ حَيْثُ
الْشَّارِعَ مَا زَالَ مَعْرُوفًا بِاسْمِ الْمَسْتَشْفَى بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى الْآنَ.

كَانَ لِلوَلَادَةِ أَنْ تَكُونَ طَبِيعِيَّةً لَوْلَا جَسَعُ «الْأَطْبَاءِ»
و«مَلَانِكَةِ الرَّحْمَةِ» مِنَ الْمُمْرَضَاتِ! - كَمَا حَدَّثَتْهَا وَالدَّتْهَا - الَّتِي
سَمِعْتَ حِوَارَ الْفَرِيقِ الطَّبِيِّ خِلَالَ الْجِرَاحَةِ فِيمَا يَظُنُّونَهَا مُسْتَعْرِفَةً
تَحْتَ تَأْتِيرِ الْمُخَدَّرِ؛ فَالطَّبُّ لَا سِيَّمَا فِي لُبْنَانَ تِجَارَةً وَشَطَارَةً، وَلَا
بَأْسَ مِنْ إِجْرَاءِ عَمَلِيَّةٍ غَيْرِ ضَرُورِيَّةٍ لِإِنْسَانٍ مَيْسُورٍ «مُقَرَّشٍ»،
فَقَاتُورَةٍ مَرِيضٍ «الدرجة الأولى» يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ «ثَقِيلَةً» وَتَلِيْقُ
بِ«بِرْسْتِيْجٍ» الزَّبُونِ الْمَأْلُومِ!

لَمْ تَكُنْ وَالدَّتْهَا سَعِيدَةً بِقُدُومِ مَوْلُودِهَا الثَّانِي الْجَدِيدِ فَطَفَلُهَا
الْأَوَّلُ «السَّعْدُ» لَمْ يَتَجَاوِزِ الرَّابِعَةَ، وَهِيَ الَّتِي بِالْإِجْهَاضِ بِذَايَةِ
الْحَمْلِ وَأَثْنَاءِهِ قَدْ عَزَمَتْ وَلَامِرُهُ قَدْ حَزَمَتْ، غَيْرَ أَنَّ وَفَاةَ أَحَدٍ
أَقْرَبِهَا فِي رِيْعَانِ شَبَابِهِ جَعَلَهَا عَنْ قَرَارِهَا مُتَرَاجِعَةً، وَ«خَشْيَةً مِنْ
عِقَابِ رَبِّهَا» عَنْ نِيَّتِهَا نَادِمَةً، أَلَمْ يَقُلْ {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً
إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا}؛ بَيَدَ أَنَّهَا
لَمْ تَكُنْ مِنَ الرِّزْقِ خَائِفَةً بَلْ مِنْ هُمُومِهَا وَاجْفَاءِ، فَظُرُوفَ حَيَاتِهَا
الْلَّاحِقَةِ فِيمَا بَعْدَ جَعَلَتْهَا تَنْدَمُ عَلَى هَذَا التَّرَاجُعِ النَّدَمِ الشَّدِيدِ، لِتَعُودَ
فَتَنْتَدِمَ عَلَى هَذَا النَّدَمِ مِنْ جَدِيدٍ!

كَانَتْ الْوَالِدَةُ تُعَانِي مِنْ عَدَمِ اسْتِقْرَارِ عَاطِفِيَّ حَادٍ مُتَعَدِّدِ الْمَصَادِرِ، وَاكْتِنَابِ عَمِيقٍ غَيْرِ مُعْلَنٍ مُتَنَوِّعِ الْمَرَاجِعِ، وَلَا تُرِيدُ زِيَادَةَ «نُكْبَةٍ» مَوْلُودٍ جَدِيدٍ إِلَى نُكْبَاتِهَا النَّفْسِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ أَوْ أَنْ تُضِيفَ مَسْئُولِيَّةً جَدِيدَةً إِلَى تَكَالِيفِ حَيَاتِهَا التَّعْيِيسَةِ الْمُرِيرَةِ، فَالْخَوَاءُ الرَّوْجِي لَا يُمَحِيهِ الرُّخَاءُ الْاِقْتِصَادِي، وَالْوَعْي لَا يُشْتَرِي بِالدَّرَاهِمِ وَالذَّنَانِيرِ.

كَانَتْ تَعْمَلُ فِي مُؤَسَّسَةِ «تَرْبَوِيَّة» كَاسْتَاذَةٍ فِي التَّعْلِيمِ النَّائُوِي فِي مِنتَقَةِ الْأَشْرَفِيَّةِ مَعْقَلِ «الْيَمِينِ الْمَسِيحِي» فِي بِيْرُوتِ عَلَى حَدِّ تَصْنِيفَاتِ الْكَانِنَاتِ الطَّائِفَةِ آنَذَاكَ. عَمَلُهَا هَذَا لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ حَاجَةٍ مَادِيَّةٍ، بَلْ لِأَنَّ «وُظِيْفَةَ» الْمَرَأَةِ فِي سَبْعِينِيَّاتِ الْقَرْنِ الْمَاضِي كَانَ جِزْءًا مِنْ «تَحْقِيقِ الذَّاتِ» وَنَوْعًا مِنْ «الْاِنْطِلَاقِ» وَالْوُجَاهَةِ وَمَكَانًا جَيِّدًا لِلظُّهْرِ الْاِجْتِمَاعِي، حَيْثُ أَنَّ صَدِيقَاتِهَا فِي الْوُظِيْفَةِ كُنَّ مِنْ سَيِّدَاتِ الصَّالُونَاتِ الْمُخْمَلِيَّةِ الْمُتَحَدِّثَاتِ بِاللُّغَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ مِنْ زَوَاجَاتِ «الْمَدْرَاءِ الْعَامِينَ» وَ«ضَبَاطِ الْجِيْشِ» وَغَيْرِهِنَّ مِمَّنْ تُشَكِّلُ لَهُنَّ الْوُظِيْفَةُ جِزْءًا مِنْ مُسْتَلْزَمَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَبَرِيقِهَا، وَنَادِيًا لِلتَّفَاخُرِ الْمُزَيَّفِ وَمَعْرِضًا لِلْاِزْيَاءِ «الْبَارِيسِيَّةِ» فِي وَقْتٍ يَشْهَدُ فِيهِ الْبِلَادُ طَفْرَةً اِقْتِصَادِيَّةً وَحَدَائِثِيَّةً صَارِخَةً جَعَلَتْهُ مُمَيِّزًا عَنْ بَقِيَّةِ دَوْلِ الْجَوَارِ فَاسْتَحَقَّ لَقَبَ «سُوَيْسِرَا الشَّرْقِ» بِامْتِيَازِ آنَذَاكَ.

كَانَتْ تَنْزَعُ بِصَمْتٍ يَخْفِي فِي طَبَائِهِ كَمَا لَا يُسْتَهَانُ بِهِ مِنَ
الشعورِ بِالثُّنْيَةِ كَوْنِهَا «مُسْلِمَةٌ» تَنْتَمِي لِطَائِفَةِ «الْمُتَخَلِّفِينَ» وَهِيَ
تَكْتُمُ مَا تَرَسَّخَ فِي وَعِيهَا بِأَنَّ «الْمَسِيحِيَّ» أَكْثَرَ تَقْوًا وَتَعْلَمًا وَمَدَنِيَّةً
وَحَضَارَةً، لِيَزِيدَ فِي طَنبُورِ انْزِعَاجِهَا نَعَمَ الْأَحَادِيثِ الْمُتَدَاوِلَةِ حَوْلَ
الْأَوْضَاعِ السِّيَاسِيَةِ وَالْاجْتِمَاعِيَةِ الَّتِي خَيَّمَتْ عَلَى الْأَجْوَاءِ غُقْبَ مَا أُطْلِقَ
عَلَيْهِ «نَكْسَةُ عَامِ 1967» وَمَا تَبِعَهَا مِنْ ذِيُولٍ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ
السَّبْعِينِيَّاتِ، فَكَانَتْ الْأَصْطَفَاقَاتُ السِّيَاسِيَّةُ الطَّائِفِيَّةُ قَدْ بَدَأَتْ تَتَبَلُّورُ فِي
خِطَابَاتِ اللَّبْنَانِيِّينَ الَّذِينَ انْقَسَمُوا بَيْنَ مُؤَيِّدٍ لِمَشْرُوعِ جَمَالِ عَبْدِ النَّاصِرِ
وَمُنََاهِضٍ لَهُ. حَيْثُ تَخَذَعَتْ مُعْظَمُ الْقَوَى «الْمُسْلِمَةُ» وَ«الْيَسَارِيَّةُ»
فِي إِطَارِ الْأَوَّلِ، فِيمَا تَمْتَرَسَتْ مُعْظَمُ الْقَوَى «الْمَسِيحِيَّةُ» وَ«الْيَمِينِيَّةُ»
فِي الْجِهَةِ الْأُخْرَى، وَسَطَ وَجُودِ «مُنْظَمَةِ التَّحْرِيرِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ» الَّتِي
اتَّخَذَتْ مِنْ لُبْنَانَ مَقَرًّا لَهَا وَلِعَمَلِيَّاتِهَا «الْفِدَائِيَّةِ» وَحَوَّلَتْ الْمُخِيَّمَاتِ إِلَى
خُصُوفٍ مُدَجَّجَةٍ بِالسَّلَاحِ لِكُلِّ «الْأَبْوَاتِ»¹ وَأَمْسَى لُبْنَانُ كَمَا الْيَوْمَ
رُقْعَةً قَذِرَةً لِلْعَبَةِ الْأُمَمِ !

كَانَتْ أُمُّ «بِنْتُ النُّورِ» تُخَالِجُهَا تَسْأُولَاتٌ كَثِيرَةٌ عَنْ سَبَبِ

1 - «الْأَبْوَاتِ» : لَفْظَةٌ عَامِيَّةٌ (جَمْعُ لَفْظَةِ أَبٍ بِدَلَالَةٍ مِنْ أَبَاءٍ) تَدَاوَلَهَا اللَّبْنَانِيُّونَ
خِلَالَ وَجُودِ مَنْظَمَةِ التَّحْرِيرِ فِي لُبْنَانَ وَتَشِيرُ إِلَى الْقَادَةِ السِّيَاسِيِّينَ وَالْعَسْكَرِيِّينَ
فِي الْمَنْظَمَةِ أَمْثَالُ «أَبُو عِمَارٍ» وَ«أَبُو جِهَادٍ» وَ«أَبُو اللَّطْفِ» وَ «أَبُو إِيَادٍ»
«أَبُو الزَّعِيمِ» ... وَغَيْرُهُمْ كَثُرَ .

سيطرة «المَارُونِيَّة السِّياسِيَّة» على الوظائف والمَنَاصِب التي كانت تَوَزَّع على قايِدة الكَعكة الطائِفِيَّة (سِتَّة وَسِتَّة مُكرَّر) ، الأمر الذي يُشعِرُ بالاضطهاد في وَسْطِ تَسْطِيرِ عَلَيْهِ النَزْعَةُ البُورجوازيَّة وَيَكْتَنِزُ كُلَّ عَقْدِ الفُوقِيَّة كما الدونية على حدِّ سواء.

مَطْلَع صَيْف عام 1975 كانت نُذِرُ الحرب الأهليَّة اللبنانيَّة قد أَرَحَتْ بِظِلَالِهَا بَعْدَ أن تدهور الوَعْي إلى أدنى مستوياته، حيث بَدَأَتْ تَنَوَّالِي حوادث العنف والخَطْفِ والدَّبْحِ على الهَوِيَّة والاعتِیالات، في ظلِّ انتشار حواجز الأحزاب الطائفية، وبدأ الفرز السُّكَّاني يتشكَّل عبر جُزُرٍ أمنيَّةٍ منعزلةٍ، كما بلغت عمليات التَّهجير الداخلي القَسْري أشدها، مِمَّا مَنَعَ والدَةَ «بنْت النور» من مواصَلَةِ عَمَلِهَا في الأشرفية، بعد أن قُسمَت بيروت إلى شَطْرين «شرقية» ذي غالِبية «مسيحية» و«غربية» ذي غالِبية «مسلمة»، كما تَرَكَّت وَعائِلَتُهَا مَنزِلَهُم الصَّيفِيَّ وَمُنْتَنَزَهُم الأسبوعيَّ في قَرْيَةِ بيت الكوكو قَسْرِيًّا عَقِبَ مجزرة «السبت الأسود»¹، حيث استولى أحد الأحزاب

1 - يوم السبت 6 ديسمبر 1975 وعلى أثر العثور على جثث أربعة قُتِلَ قِيلَ إنهم من مرافقي احد زعماء الاحزاب «اليمينية»- (حزب الكتائب) ، سارع مقاتلو الحزب باختطاف العشرات وقتلهم وبلغ عدد ضحايا «السبت الأسود» 110 قُتِلَ، ونحو 300 مخطوف؛ أخبرني جَدِّي بأن معظم القتلى كانوا عائدين من اعمالهم من الوسط التجاري .

على البيت لِيَجْعَلَ مِنْهُ مَكْتَبًا لِعَمَلِيَّاتِهِ وَمُسْتَوْدَعًا لِدُخَانِهِ وَمُعْتَقَلًا لِمَخْطُوفِيهِ.

وَأَثَرُ حَرْقِ الْوَسْطِ التُّجَارِيِّ وَجَدَ وَالِدُ «بِنْتِ النُّورِ» نَفْسَهُ
كَمَا سَانِرُ تُجَارِ بَيْرُوتٍ عَاطِلًا عَنِ الْعَمَلِ بَعْدَ أَنْ نُهِبَتِ الْبَضَائِعُ
وَأَصْبَحَتِ الْأَمْلاكُ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ.

كَانَ غُفَّ الْأَحْدَاثِ عَلَى الْأُمِّ مَرِيرًا، وَوَقَعَ الصَّدْمَةُ كَبِيرًا؛
كَيْفَ لَا وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُتَادِمُ صَدِيقَاتِهَا مِنْ «الدِّيَانَاتِ» الْآخَرَى
بِحُبِّ شَدِيدٍ، وَتَبَادَلَ جِيرَانُهَا مِنْ «النُّحْلِ» الْمَغَايِرَةِ الْوَدَّ الْجَمِيلِ،
فَهِيَ الْمَوْلُودَةُ بَيْنَهُمْ وَفِي وَسْطِهِمْ عَاشَتْ، وَلَأَفْرَاجِهِمْ احْتَفَلَتْ وَفِي
أَتْرَاجِهِمْ حَزَنْتْ؛ فَكَمْ مَرَّةً ذَرَفَتْ الدَّمُوعُ فِي جَنَازِ وَقْدَاسٍ، وَكَمْ مَرَّةً
رَقَصَتْ طَرْبًا احْتِفَاءً بَعِيدَ «الْمِيلَادِ»، وَكَمْ سَهَرَتْ تَنْتَظِرُ عَجِينَ
الزَّلَازِييَةِ فِي لَيْلَةِ «الْغَطَاسِ»¹، وَكَمْ مِنْ بَيْضَةٍ لَوْنَتْ فِي «الْفَصْحِ
الْمَجِيدِ»، وَهِيَ الَّتِي خَبَأَتْ فُسْتَانَهَا الْأَبْيَضَ الْجَمِيلَ ذَا الشَّرِيطَةِ
الْمَعْقُودَةِ وَحِذَاءِهَا اللَّامِعَ لِدِ «أَوَّلِ قَرْبَانَةٍ»، وَكَمْ كَانَتْ تَحُبُّ «الْكَعْكَ

1 - لَيْلَةُ الْغَطَاسِ: يَحْتَفَلُ بِهَا فِي 6 كَانُونِ الثَّانِي وَهِيَ نَكْرَى حُلُولِ الرُّوحِ
الْقُدْسِ عَلَى الْمَسِيحِ فِي نَهْرِ الْأُرْدُنِ.

المقدس» الذي يُصنَّعه فرَّان القرية للمناولة بعد الغفران، وكم مرّة أضاءت الشُّموع لشَفِيع الضَّيعة وقديسها.... وهي التي لم تنس يوماً قصص التوراة القديمة التي كان يرويها خال جدتها القس المتصوِّف العجوز «عازر الأشقر» من كتابه العتيق، وصلاته باللغة «الكرشونية»¹ التي لازالت تحفظها عن ظهر قلب... واقع عاشته بأدقِّ تفصيله!

وواقع الحرب صادم! وعقلها أضيق من أن يستوعب كيف أن جارهم «الوفي» المكرِّز بدين المحبَّة والسلام، قد استولى على أرضهم ونهب ممتلكاتهم وحول دارهم مستودعاً لِسِلاح «حزبه»، وفناه حَظيرةً لبهائمِه! ولم يكن لديها الوَعي الكافي لتمييز بين السلوك الشائن للتصرف الشخصي وبين المجموعة الدينية التي لا تؤخذ بِجَرِيرَةٍ أفرادها ومُوبقاتهم.

اتكفأت والدّة «بنت النور» على ذاتها مذعورة وبنتها رَضِيعَة لم تتجاوز عامها الأول، وانقَطَعَت عن مُجتمَعِها وعَمَلِها، وجعلت بينها وبين النَّاسِ جداراً فولاذيّاً منيعاً، وقطِيعَة دائمة، لتقع في «دائرة نفسها»، وسقطت ضحيةً هواجسها، فشَبَّت في قلبها بذور كراهية الآخر وتعمَلَقَت حتّى غدت حقداً يُعَمِّي ويصمّ، كما

1 - الكرشونية هي الكتابة العربية بالحروف السريانية.

اتسعت الهوة النَّفْسِيَّةُ بينها وبين زوجها حتى غدت أخصوفاً عظيماً ذا غور بعيدٍ ساحقٍ، لينتهى الأمر بها فريسةً أيديولوجيةً «دينيةً سنيّةً» متطرفةً منغلقةً، فجعلت بينها وبين العالمين حجاباً منيعاً، قابضةً في حجرٍ محجورٍ لا تُرى الدنيا من خلاله إلا سوداء مُظلمة!

كل تلك «النكبات» توالى على عائلة «بنت النور» عقيب مولدها... لذلك فإنها لم تكن «وجه السعد» بالنسبة لهم! علاوة عن كونها «أنثى» في مجتمعٍ احترف «الذكورية» بشتى أشكالها وصورها فمَنحوها اسماً مكوراً مدوراً ألقوا به تاء التأنيث المربوطة، للتترجم الأم «المتدينة» حديثاً «تقواها» و «ورعها» في شتى صنوف التمييز ضد هذه الطفلة المسكينة على ركائز أيديولوجية تتلوها في كل آن ومكان «فهم البنات للممات» و «الصبي لا يعيبه شيء» و «المرأة كلها غورة» و «النساء حبال الشيطان» و «أكثر أهل النار من النساء» و «ناقصات عقلٍ ودين» و «وان خروجهن مفسدة جمّة، فوفرن في بيوتكن»! وعملت على قمع كل مبهج مفرح عن طفلة لم تكن لتمييز بين الكائنات بعد.

وَتَسْرَح «بنت النور» بعد عقودٍ ثلاثة في عُمقِ ذَاكِرَتِهَا
 عَلَيْهَا تَفْهَمُ بَعْضًا مِمَّا آلَ إِلَيْهِه واقعها الحاضر، وان كانت ولادتها
 خبرة لا تَتَذَكَّرُهَا تَذَكُّرًا وَاعِيًا يَبْدُ أَنْ صَحَّبَ الْأَحْدَاثَ وَمَرَارَةَ
 الْأَهْلِ وَالْأَمَامِ، والمعتقدات المنحرفة والعادات الخاطئة، خَلْفَ
 إِرْتَاءٍ لَا يُسْتَهَانُ بِهِ مِنَ الْقَلَقِ وَالشَّعُورِ بِالْخَوْفِ وَالْمَرَارَةِ وَ عَدَمِ
 الْأَمَانِ اصْطَبَغَتْ بِهِ مَرَاكِلَ طِفْلُوتِهَا الْأَوَّلَى الَّتِي لَا ذَنْبَ لَهَا بِهَا
 وَلَا اخْتِيَارَ ، نعم هي الآن وقد اقتربت من سنِّ النَّبُوَّةِ تَعِي تَمَامًا
 أَنَّهَا نَتَاجُ دِرَامَا لِمَسْرُوحِيَّةٍ حَمَقَاءَ لِأَنَّ الْحَجَرَ الَّذِي يُرْمَى فِي مَحِيطِ
 الْحَيَاةِ تَسْتَمِرُّ دَوَائِرُهُ بِالتَّفَرُّقِ بِلَا حُدٍّ وَلَا نِهَايَةٍ، اذ لا ضفاف تقف
 عِنْدَهَا وَإِنَّ الطِّفْلَ الَّذِي يُولَدُ ثَمَرَةً جَحِيمٍ مُقِيمٍ سَيُكْرَّرُ سَخَافَةُ أَهْلِهِ
 وَبُؤْسُهُمْ. وَكَيْ لَا تَعِيدُ إِنْتَاجَ مَاضِيهَا هَا هِيَ الْيَوْمَ تَكْتَشِفُ بِتَأَمُّلٍ
 عَمِيقٍ وَوَعْيٍ تَامٍ خُبْرَةَ وَلَادَتِهَا، فتولد مرة ثانية بوعي تفهم معاناة
 الْأَهْلِ وَتَسَامَحُهُمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا ضَحِيَّةً!

وتغوص «بنت النور» في الذاكرة لتعيش صدمة الولادة مجدداً، فالحياة بالنسبة لها الآن كاملة القيمة، فهي من الخوف الذي يُدخلها في الغيبوبة التي تفصلها عن ذكراتها قد تحررت، وما حيواتها وموالدها إلا مشاهد إيقاع أفول و ولادة متواترة، وما الموت إلا مشهد صغير من مشاهد الحياة الخالدة . ويشخص الحكيم «طاغور» في مُخيلتها الآن بِمقولته: «إِنَّ كُلَّ طِفْلٍ يُولَدُ يَحْمِلُ رِسَالَةً أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَيْأَسْ بَعْدَ مِنَ الْإِنْسَانِ»، وَمَخَاضُ عُيُورِهَا مِنْ نُورِ التَّكْوِينِ إِلَى تَاءِ التَّائِيثِ وَانْتِقَالَ رُوحِهَا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ إِلَى عَالَمِ الشَّهَادَةِ عَمِيرَ بَيِّدَ أَنَّهُ يَخْطُ رِسَالَةَ مَحَبَّةٍ وَسَلَامٍ عَمِيمٍ فَتَدُونُ بِيَمِينِهَا:

عَلَى إِبْقَاعِ الْوُجُودِ
نُسِخَتْ رُوحِي
صَلَبَ النَّاسُوتِ مَتْنِي
وَجَلَّتْ عَوْدًا عَلَى بَدْءِ

فَغَايَةَ حَيَاتِي تَرْجَمَةً رُوحٍ
لِمَبْدَأٍ وَعَنْهُ
فِي أَدْنَى عَوَالِمِ الْكَوْنِ

تِلْكَ ... غَايَةٌ
وِغَايَتِي
فِي مِرَاةِ الزَّمَانِ
أَخْطُهَا مَحَبَّةً وَسَلَامًا
كَمَالٍ أَسْعَى إِلَيْهِ الْآنَ
أَرْقِي بِهِ
فِي مَسِيرَةِ اكْتِمَالِ وَجُودِي

أُمَحِّصِ الزَّمَانَ عَنْ قَلْبِي
فَعَاوِدَتْنِي أَحْدَاثُ عَالَمِ الْأَزَلِ
حِينَ اسْتَدْعَتْ لَطِيفَتِي مَعْبُودًا
تَأْوِي إِلَيَّ
عِنْدَ الْعُنْصُرِ الْأَعْظَمِ الْمَكْنُونِ
فِي عَالَمِ الْغَيْبِ

عَبَّرْتُ إِلَى عَالَمِ التَّكْوِينِ
عَبْرَ دَائِرَةِ الْهَوَاءِ
فَاسْتَدَارَ الزَّمَانُ
يَوْمَ وَلَا دَتِي
عَلَى صُورَةِ الْمِيزَانِ

فَكَانَ أَوَّلَ الْأَفْلَاكِ الَّتِي
دَارَكَ بِهَا.... عَاقِلُهُ رُوحِي
فَانْكَتَبَ حَقًّا عَلَى صَفَحَاتِ قَلْبِي

سَتَحْلِقُ رَوْحِي
فِي هَوَاءِ مِيزَانِ
مَقَامِ عَدَلٍ ...
وَأَعُودُ إِلَى حَبِيبِي
عِنْدَ انْقِضَاءِ نَوْرِي

مَسِيرَةَ مَعَابِرِي مَوَالِدٍ
أَخْطُو بِهَا مِنْ مَعْبَدٍ لِهَيْكَلٍ
أَحْمَلُ أَسْمَى الشُّوْقِ
وَلِي فِي رَحِمِ الْأَرْضِ حَضَنٌ
وَفِي احْتِضَانِ الرَّحِمِ أَرْضٌ

أَغْفُو إِلَيْهَا وَلْنَهْدَهَا مِنِّي عَنَاقُ
أَرْضَعِ الْبَرَازِخَ
بِرَزْخًا تَلُو بِرَزْخٍ
وَأَفْطَمُ وَلَادَةً تَلُو الْوَلَادَةَ
فَأَحْجِبْ عَن رَّبِّي بِكُلِّ حَيَاةٍ بَرَهَةً
وَأَعُودْ بَعْدَ نَسْخِ التَّوْحِ
أَعْقِلْ مَحَبَّتَهُ وَدَا
نَحْوِ الْفَطَامِ الْأَخِيرِ
عِنْدَ انْعِتَاقِ رُوحِي

هُوَ إِيقَاعُ الْكُونِ مَرَاقِصَ
تَرْقِصُ سَيَرُورَةً مَوْتٍ مُسْتَأْنَفٍ
إِلَى صَيَرُورَةِ حَيَاةٍ حَرٍّ
أُولَدَ الْيَوْمَ مُجَدِّدًا
وَفِي كُلِّ آنَةٍ أَمُوتُ فِيهَا
وَأَحْيَا بِوِلَادَتِي فِي كُلِّ آنٍ

تلك معابر الروح
في رحلته انعتاقها
إلى آخر عُنُقٍ عتيقٍ
عند عودتي
إلى صورة ربي في عالم القدس

بَيْتٌ مُنْقَسِمٌ

وَتَهَيِّمُ «بِنْتَ النُّورِ» فِي قَدَمِ الْأَزْمَنَةِ الَّتِي يَكْتَنِفُهَا بَيْتٌ مُتَشَطٌّ
مُتَشَرِّدٌ. هَذَا حَالٌ عَائِلَتُهَا خِلَالَ طُفُولَتِهَا الْأُولَى! وَهَذَا حَالُ بَلَدِهَا
أَثْنَاءِهَا! أَشْبَهَ بِسَفِينَةٍ هَائِمَةٍ فِي بَحْرِ هَائِجٍ تَلْفُهَا الْمَخَاطِرُ وَتُحَاصِرُهَا
الْعَوَاصِفُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَفِي كُلِّ جِينٍ.

كَانَتْ أَسْرَتُهَا أَشْبَهَ مَا تَكُونُ بِكَرَاتٍ مُتَفَاوِتَةِ الشَّكْلِ وَالْمُضْمُونِ
لِعَقْدٍ مُنْفَرِطٍ، كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ شَدِيدُ الْإِنْتِغَالِ بِ«أَنَاهُ» رَغْمَ ادِّعَائِهِ فِي
«التَّضْجِيَةِ» فَنَّا عَظِيمًا، وَأَنَّهُ قَدَّمَ مِنْ أَجْلِ عَائِلَتِهِ وَأَوْلَادِهِ «قَرَبَانًا»
فَرِيدًا لَمْ يَقْدَمْهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ عَلَى وَجْهِ الْمَعْمُورَةِ!
كُلٌّ فَرَدٍ فِيهِمْ يَغْنَى عَلَى لَيْلَاهُ، عَوَالِمٌ مُتَنَافِرَةٌ تَعِيشُ عَلَى
صَعِيدٍ مُشْتَرَكٍ، وَ«حَوَارَاتِهِمْ» كَتَفَاهِمَاتِ مَخْلُوقَاتٍ لَا تَنْتَمِي لِفَصِيلَةٍ
وَاحِدَةٍ، وَنِقَاشَاتِهِمْ كَحَرْبٍ «كَانَنَاتٍ فُضَائِيَّةٍ» مِنْ مَجَرَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ
جَمَعَهَا الْقَدَرُ وَمَحَضَ الصَّدْفَةُ عَلَى كَوْكَبٍ وَاحِدٍ، لَا يَعْرِفُ وَاحِدُهُمْ
لُغَةَ الْآخَرِ وَلَا يَجِدُ لِلتَّفَاهُمِ مَعَهُ سَبِيلًا! وَلَا يَرَى فِي غَيْرِ «أَنَاهُ»
وَتَوَابِعِهَا وَمَصَالِحِهَا الضَّيِّقَةَ وَمُسْتَلْزَمَاتِهَا الْآبِيَةَ إِلَّا آخَرَ صَاحِبٍ

نَسِيسَةٍ وَمُؤَامِرَةٍ لَا يَتَحَرَّكُ إِلَّا بِدَافِعِ الْحَقِّ وَالْحَسَدِ ! فَسَوْءَ الظَّنِّ
حَاضِرٍ وَتَبَادُلِ التَّهْمِ نَاضِرَةٍ !

العلاقة بَيْنَ وَالِدِهَا وَوَالِدَتِهَا عَلَى رُدُودِ الْفِعْلِ الْإِنْفِعَالِيِّ
الْمُتَشَنِّجِ قَائِمَةٌ، وَمَعْرَكَةٌ مُتَوَاصِلَةٌ عَلَى مَحَوَّرِ إِدَانَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
لِلْآخَرِ رَحَاً دَانِرَةً، فِيمَا يَقُومُ الثَّانِي بِشَنْ هُجُومٍ مُضَادٍّ كَاسِحٍ مَاسِحٍ؛
فِي ظِلِّ عَمَى فِكْرِيٍّ مَخِيْمٍ وَظِلَامٍ عَقْلِيٍّ دَامِسٍ وَجَهْلٍ مَعْرِفِيٍّ مُطْبِقٍ
وْغِيَابٍ رُوحِيٍّ تَامٍ وَاشْتِدَادٍ نَفْسِيٍّ مُؤَلِّمٍ، يُؤَدِّي إِلَى الرَّفْضِ التَّامِّ لِمَا
يَقُومُ بِهِ الْغَيْرُ جَمْلَةً وَتَفْصِيلاً؛ حَتَّى عَمَتْ الْكَرَاهِيَّةُ الْقُلُوبَ وَشَوَّهَتْ
الْأَرْوَاحَ !

الْأُسْرَةُ بِالنَّسَبَةِ لـ«بَنَتِ النُّورِ» فِي طُفُولَتِهَا مَعِينٌ لَا يَنْصَبُ
مِنْ قَلْقٍ دَائِمٍ وَأَلَمٍ مُسْتَمِرٍّ وَمُتَوَاصِلٍ وَسَاحَةِ صِرَاحٍ شَرِسٍ مُحْتَدِمٍ
مُتَأَجِّجٍ، وَقَدْ جَفَّ «الْأَمَانُ» وَتَلَاشَتْ «الطَّمَأْنِينَةُ» وَخَدَمَتِ الْمَوَدَّةُ...
وَلَمْ يَشْفَعْ ظَاهِرُ الصُّورَةِ «الْخَارِجِيَّةُ» الْحَسَنَةُ لِلْعَائِلَةِ مِنْ إِخْفَاءِ قَبْحِ
الشَّقَاءِ، وَلَمْ يُفْلِحْ بَرَسْتِيحُ «الْعَائِلَاتِ» الْمَمْنَقَةُ مِنْ سِتْرِ «كَرْبِ»
النَّفُوسِ التَّعْيِيسَةِ وَيُوسَهَا !

لَمْ تَكُنِ الْأُمُومَةُ وَالْأَبُوتَةُ تَعْنِي لُهُمَا أَكْثَرَ مِنْ مُجَرَّدِ الْإِعْتِنَاءِ
بِضُرُورِيَّاتِ جِسْمِ الْمَوْلُودِ وَسَلَامَتِهِ الْخَارِجِيَّةِ، فَوْعِيَهُمَا بِمُسْتَلْزَمَاتِ
الْعَنَاءِ الرُّوحِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ غَيْرِ مُتَبَلُّورٍ، وَغَائِبٍ عَنْهُمَا أَنَّ رُوحَ

الطفل وادعة وَ تَنْطَلُبُ رعاية خاصة كونه نفساً مُسافرة قُدِّرَ عليهما التأثير فيها فترة مُعَيَّنة لَتَحَقَّقَ أَرْوَعُ إمكانيَّاتها واستعداداتها وَ مَوهِبَتَها الكامنة، وأنْ تُورِثَ «الحكمة» يكون عبر قوَّة المحبة الفاعلة فيهما كَشْرِيكَي حياة، وأنَّ الخلافات و الكراهية من شأنها أن تترك نُدُوبًا نَفْسِيَّةً عميقة حَتَّى عَلَى الرُّضِيع اللّوااعي والجِنين المُسْتَنَرِّ في أعمق الأرحام!

ومع استمرار الشدَّة النفسية لوالدة «بنت النور» أصبح الاهمال سِمَة الحياة البارزة، ولم تُعد العناية بالضروريات الشكليه أولويَّة، فذبلت الطفلة وانزوت واتسحت بشرتها بالصفرة وتهاوت في سرير المرض من سوء التغذية ! لي طرح «الطبيب» على الوالدة سؤالاً غريباً: «ألا تُطعمينها؟»... نعم، اذ هي غالباً ما تنسى ان تُقَدِّمَ للطفلة المأكُل، فانشغالها الدائم «بِمَشَاكِلِها» و«أناها» الذي يعاني عقداً يعجزُ أمهر أطباء التحليل النفسي عن إيجاد حلولٍ حقيقيَّة له أعماماً حتى عن حاجاتِها البيولوجيَّة كالطعام والشراب.

الوضع السياسي والأمني مزِدٌ للعاية، و«بنت النور» حديثة الولادة لأبسط شروط الحب تَفْتَقِدُ، بيد أن الفطرة البيضاء والوداعة الصَّافِيَّة التي يُمَنِّحها المكون لكاناته تجعل طاقَة الإيجاب رغم عنف الأنفس مُشْعَّة، وتوقظ الحياة رغم قبح الظروف؛ وأن «سببي»

الأجساد و«وَاد» الأبدان لا يُطفئُ نشوة الأرواح!
وتتأمل «بنت النور» طفولتها الهاربة مِنْهَا وتُراقِب انصرام
الأعوام بعين دَامِعَةٍ، وكوردة تتبعث رائحتها ولو سُحِقت بالأقدام
تكتب:

وَعَيْدَاءُ تَمْتَحَ عِطْرَهَا عَاصِفَةٌ ...

أُسْكِرَتْ مِنَ الْعَالَمِينَ أَرْوَاحُ

فَمَا أَكْثَرَ الْوُرُودِ

الَّتِي تُوَلِّدُ كُلَّ آنٍ

وَلَهَا فِي صَهْبِ

الغَيَاهِبِ انْتِهَاءُ

مَدَّتْ رِداءَ الصَّبْرِ

فَوْقَ أَنَاتِهَا

عَلَّهَا تَمَسَّحُ بِالْمَحَبَّةِ

بَعْضَ الْجِرَاحِ

مُسَيِّتَةٍ هِيَ!

حَتَّى قَبْلَ وَلَاذِيهَا
فَلَا تُمْلِكُ الْخَيْتَارَ
وَلَا فِي عَرَفِ الذُّكُورِ
يَجُوزُ لَهَا امْتِلَاكُ /
فِي صَحْرَاءِ الْقَهَرِ
تُوَادُّ كُلَّ يَوْمٍ
تَضْمَحِلُّ حَلَاوَتَهَا

وَهِيَ تُكَافِحُ ... تُكَافِحُ
تُكَافِحُ ... يَرْفُتُهَا

تُبْحِكُ .. عَنْ نُسَمَةٍ
تُتَعَشُّ مِنْهَا الْقُؤَادُ

تَتَلَمَّسُ ... قَطْرَةَ مَطَرٍ
عَسَى ... تُمَكِّحُهَا
بَعْضُ الْحَكَّانِ

جَمَعْتُ دُمُوعَ الْقَلْبِ
رَغَمَ انْفِطَارِهِ

فَلَهَيْبِ الرَّمْضَاءِ
أَسْأَلَ حَتَّى الرَّمَالِ

فَأُنْزَوِي الْجَمَالَ
يَسُدُّوْ حَنِّ فَنَائِهِ

فَرِقَّةُ الْمَكَاجَاةِ
تُوقِظُ فِيهَا الْحَيَاةَ

فِيرْتَدِ صَدَى أَلْمَهَا صَادِحًا :-

أَيَا حَبِيبَتِهِ رَوْحِي

لَا تُفْلِقِي ...

فَسِرُّ الْمَحَبَّةِ ... أَنَّهُ مُسْتَأْنَفٌ

وَسَيَبْزَغُ الْقَجَرُ

عَلَى وَجْهِكَ رَاقِصًا

فَارْتَعَاشَ جَمَالِكَ

جَسَدِ انْشِغَافًا .. وَافْتِنَانًا ...

شَرَارَةُ الْحَرْبِ وَشَرَانِقُ الطَّائِفِيَّةِ

تَتَوَقَّ «بِنْتَ النُّورِ» لِجَزِيرَةِ الْأَغَانِي فِي بَحْرِ الْأَحْزَانِ تَوَقُّ
رَضِيْعٍ لِحُلُمٍ هَادِيٍّ هَانِيٍّ... كَانَتْ الْأَيَّامُ عَقَبَ وَلادَتَهَا ثَمَرٌ بِثِقَلِ
رَتِيْبٍ كَثِيْبٍ، وَالْأَمْنُ فِي حُكْمِ الْمَعْدُومِ ! تَزْدَادُ آلَامُ الْمُجْتَمَعِ وَتَزْدَادُ
فِي حَيَاةِ الْأَفْرَادِ الْمُحِيطِيْنَ بِهَا شُرُوحُ !

وَالدَّتْهَا تَحِيْكُ اللَّيَالِي بِضَجَرِ الْأَحْلَامِ وَحَنَقِهَا عَلَى الْأَيَّامِ
يَشْتَعِلُ، تَحْمَلُ رَضِيْعَتَهَا الَّتِي لَا تَكْفُ عَنْ الْبُكَاءِ بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا وَتَزْرَعُ
أَرْضَ الْمَمَرِّ بَيْنَ الْغُرَفِ بِخَطَوَاتِ هِدَارَةٍ غَاضِبَةٍ، تَرْوِحُ وَتَجِيءُ
وَالصَّبْرُ فِي وَجْدَانِهَا قَدْ نَفَدَ، تُطِلُّ مِنَ النَّافِذَةِ تُحَدِّقُ فِي الْمَجْهُولِ،
بِالْأَمْسِ عَنِ الْإِنْجَابِ كَانَتْ رَاغِبَةً وَلِلْخَوْفِ مِنْ سَخَطِ «الرَّبِّ» فِي
الْأَجْهَاضِ رَاهِبَةً، تُسْرِحُ عَيْنُونَهَا، وَتَهْمُ بِرَمِي وَلِيْدَتِهَا مِنْ سَابِعِ دَوْرٍ
عَلَيْهَا تَتَخَلَّصُ مِنْ مَسْئُوْلِيَّةٍ نَكَبَدَتْهَا دُونَ اخْتِيَارٍ !

صَوْت الرُّضِيعَةِ لَا يَخْفِتُ أَبَدًا يَحْفِرُ فِي صَمِّ الْقُلُوبِ الْغُلْفِ
عَلَّهْ يَجِدْ ثَغْرَةَ آمِنَةٍ، فَكَلَّمَا ازْدَادَ ضَيْقُ الْأُمِّ عَلَا الْبُكَاءُ وَالنَّحِيبُ،
وَكَأَنَّ الصُّرَاخَ صَدَى أَلَمِ الْغُنْفِ الْمَشْتَعِلِ فِي الْأَفْنَدَةِ ...

كَيْفَ لَا؟ وإحساس المولود بطاقات السلب مُرْهَفٌ،
والرضيع أصدق مؤشِّر فِطْرِيٍّ، وَعَنْ بَرَاءَةِ صِبْغَةِ الْخَالِقِ لَا يَحِيدُ
أَبَدًا، وَهُوَ الَّذِي حَلَّ لِقَاؤَهُ فِي عَالَمِ الْأَبْدَانِ وَلَمْ يَخْتَبِرْ نَكْدَ الْأَنْفُسِ بَعْدَ!
تَتَرَدَّدُ الْأُمُّ وَ«تَتَعَلَّقُ» وَتَسْنِفُ السَّلْوَانَ، فَتَهْدَأُ الطِّفْلَةَ وَتَنَامُ بَعْدَ عَنَاءِ
لَيْلٍ طَوِيلٍ!

الليل عليها موخش وَتَتَنْظَرُ زَوْجًا يَتَهَرَّبُ مِنْ سِجَالَاتِهَا
مَعَهُ بِالسَّهَرِ خَارِجَ الْبَيْتِ تُفَكِّرُ فِي الدَّقِيقَةِ بِالْانْفِصَالِ عَنْهُ أَلْفَ
مَرَّةً وَتَتَمَسَّكُ بِهِ أَلْفَ مَرَّةً وَمَرَّةً أُخْرَى... فَالْانْفِصَالُ عَنِ الشَّرِّيكِ
فِي عُرْفٍ - بَنَاتِ «الْأَصُولِ» فِي ذَاكَ الزَّمَانِ - غَيْرُ وَارِدٍ نِهَائِيًّا!
هَذِهِ وَاحِدَةٌ؛ أَمَّا كَيْفَ سَتَتَدَبَّرُ أَمْرَهَا الْمَادِي وَالْمَعْنَوِي حَالَ الْانْفِصَالِ
فَوَاحِدَةٌ أُخْرَى أَهَمُّ مِنْ سَابِقَتِهَا، وَتَكَالِيفُ الْحَيَاةِ لَا تَرْحَمُ وَأَبْوَابُ
أَهْلِهَا فِي وَجْهِ عَوْدَتِهَا مَوْصَدَةٌ بِأَقْفَالِ اجْتِمَاعِيَّةٍ وَاقْتِصَادِيَّةٍ شَتَّى.

إِذْنِ لَا تَرَى فِي غَيْرِ الْمُسَاوَةِ الْمَحْمُومَةِ وَالنَّكَدِ سَبِيلًا
 لِلتَّعَاطِي مَعَ «زَوْجٍ» مُهْمَلٍ. تَبْحَثُ عَنِ الْآلِيَةِ الْإِلَازِمَةِ فِي حَرْبِهَا
 الشَّعْوَاءِ، فَتَتَّخِذُ مِنَ الْخُطَابِ «الْإِلَاهِيَّاتِ» مَرَاثِمًا لَتَدِينَنَّ بِهِ أَفْعَالِ
 الشَّرِّكَ وَتَضَعَهُ فِي خَائَةِ «الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» وَأَعْوَانِهِ مِنَ الْإِبَالَسَةِ
 أَجْمَعِينَ، وَتُضْفِي عَلَى نَفْسِهَا هَالَةً «مُقَدَّسَةً» تَحْقُقُ أَجْنَحَةَ الْمَلَائِكَةِ
 وَيَحْرُسُهَا رِضَى «الْإِلَهِ» فِي أَعَالِي السَّمَاءِ!!! نَعَمْ فَهِيَ التَّحَقُّقُ
 لَتَوَّاهَا بِرُكْبِ «جَمَاعَةِ دِينِيَّةِ أَصُولِيَّةٍ» تَمُنَّحُ مُنْتَسِبِيهَا الْغَفْرَانَ الْمُبِينِ
 وَتُرْسِلُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مُكْرَمِينَ، وَتَجْعَلُ مِنْ كَافَّةِ الْعِبَادِ
 الْآخِرِينَ كُفَّارًا وَفَجَّارًا إِلَى جَهَنَّمَ دَاخِلِينَ دَاخِرِينَ .

فَيَتَحَوَّلُ نِقَاشُهَا مَعَ «الزَّوْجِ» مِنْ مَجْرَدِ أَسْئَلَةٍ مَشْرُوعَةٍ
 وَسِجَالٍ عَادِيٍّ إِلَى شَتَائِمٍ وَعَوِيلٍ وَيَتَقَلَّبُ الْحَدِثُ مِنْ مَجْرَدِ سَهْرَةٍ
 غَابِرَةٍ، إِلَى الْإِعْلَانِ الْكَاسِحِ الْمَاسِيحِ عَنْ حَرْبِ «جِهَادٍ مُقَدَّسٍ»
 ضِدَّ «الزَّوْجِ الْمَلْعُونِ» وَشُرَكَائِهِ مِنَ «الْإِبَالَسَةِ» أَصْحَابِ الشَّهْرِ
 وَالْمَجُونِ! وَيَنْتَهِي الْأَمْرُ بِإِحْرَازِ «النَّصْرِ الْمُبِينِ» وَاعْتِدَارِ الْبُعْلِ
 عَمَّا صَدَرَ مِنْ تَقْصِيرِهِ بِحَقِّهَا وَبَدْرٍ، وَمَا عَنْهُ فِي غَيْبَتِهَا اسْتَنْتَر!

وَمَعَ كُلِّ مَطْلَعِ شَمْسٍ وَمَعَ غَيْبِ كُلِّ مَغِيبٍ تَلَاسُنٌ وَ نِقَاشٌ
عَنِيفٌ عَقِيمٌ، حَتَّى أَمَسَتْ النَّزَعَاتُ فَضْلاً يَوْمِيّاً وَطَقَسَا رَسْمِيّاً فِي
فُصُولٍ مَسْرُوحِيَّةٍ بَيْتٍ مُنْقَسِمٍ امْتَدَّتْ عُقُوداً طَوِيلَةً كَادَتْ لَا تَنْتَهِي،
حَتَّى ظَنَّ الْأَطْفَالُ أَنَّ الْأَمْرَ «نِظَامٌ كُونِيٌّ» كَالْفُصُولِ الْأَرْبَعَةِ وَانْتِظَامِ
وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَ«قَدَرًا» طَبِيعِيّاً كَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنَّوْمِ وَسَائِرِ
الْأُمُورِ الْمُعَاشَةِ...

تَزَامَنْتْ صُورَةُ الْأُسْرَةِ فِي هَذَا الْبَيْتِ الْمُنْقَسِمِ مَعَ وَاقِعِ بَلَدٍ
مُمَزَّقٍ يَنْتَازِعُهُ الْعُنْفُ وَتُحْرِقُهُ الْأَحْقَادُ وَتُشْرِدُهُ الْمَوَاجِعُ ، وَقَدْ بَلَغَ
بُؤْسُ الْأَرْوَاحِ مَدَاهَ فَتَحَوَّلَ الْمَجْتَمَعُ «الْلُبْنَانِي» حِينَهَا إِلَى «شَرْنَقَاتِ
طَائِفِيَّةٍ» وَتَجَمَّعَتْ مَذْهَبِيَّةٌ وَجَزْبِيَّةٌ تَغْلِي تَحْتَ رِمَادِ حَرْبٍ ضَرُوسٍ،
النَّاسُ تَتَعَسَّكِرُ فِيهِ فِي مَعْسَكَرَاتٍ «طَائِفِيَّةٍ» غُنْصَرِيَّةٍ مُقَيَّتَةٍ!

فَهَذَا يَتِمَّتَرُسُ بِشَهَادَةٍ «عَلَمِيَّةٍ» يَحْمِلُهَا- وَكَانَ لِصَحَابِ
الشَّهَادَةِ وَقْتُهَا بَيْنَ النَّاسِ شَأْنٌ عَظِيمٌ- وَيُخْرِجُ إِلَى الْبَشَرِ شَاهِراً سَيْفَ
«شَهَادَتِهِ» بِوَجْهِ «الْجَهْلَةِ» ، نَاعِتاً الْغَيْرَ «بِقَلَّةِ الدَّرَائِيَةِ وَالْفَهْمِ»
وَأَنَّ اخْتِصَاصَهُ «الْعَظِيمِ» مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَنْتَشِلَ الْعِبَادَ مِنْ أَرْمَاتِهِمْ
وَمِحْنَتِهِمْ، فَيَتَعَامَلُ مَعَ «الْبَسْطَاءِ» بِاسْتِعْلَاءٍ وَفُوقِيَّةٍ مُقَرَّزَةٍ!

وذاك اتَّخَذَ مِنْ حَزْبِهِ «إِلْهًا» فَعَكَفَ فِي مِحْرَابِهِ السِّيَاسِي،
وَتَمَسَّحَ بِمَحَازِيْبِهِ، وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ يَتَزَلَّفُ التَّقَرُّبَ مِنْ مَسْئُولِيهِ
عَسَى مِنْ «مَنْفَعَةِ الْعُنْفِ» يَنَالَهُ جَانِبُ الشُّهُرَةِ وَالْمَجْدِ، فَشَهَرَ سِلَاحَهُ
بِوَجْهِ «الْأَبْرِيَاءِ» وَارْتَكَبَ أَتْسَعَ الْمَجَازِرِ بِحَقِّ «مُخَالِفِيهِ» لِيُصْبِحَ
فِيمَا بَعْدَ «رَمْزًا وَطَنِيًّا» وَ «مَسْئُولًا كَبِيرًا» فِي حُكُومَةِ «التَّوْفِيقِ
الطَّانِفِي» !

وَهَنَّاكَ مِنْ يَتَخَنَّدُقُ بِخَنْدَقِ «الدِّينِ» فَيَحْمِلُ مِفْتَاحَ الْجَنَانِ
«بِيَدِهِ» وَيَعْصُ عَلَى «بِنَوَاجِذِهِ» حَتَّى يَبْتَلِعَهُ مُهْدَدًا الْآخِرِينَ بِنَارِ
جَهَنَّمَ سَعِيرًا، الَّتِي لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ لَوَاحَةً لِلْبَشَرِ، جَزَاءَ لَهُمْ عَلَى
«كُفْرِهِمْ» وَ «فَسَقِهِمْ» وَ «فُجُورِهِمْ» كَوْنَهُمْ لَمْ يُسَايِرُوهُ وَيَطَاوَعُوهُ
وَيَدْخُلُوا فِي خُرْمِ مُعْتَقَدِهِ وَتَنْظِيمِ شَرِيعَتِهِ !

كَانَ اللَّبَنَانِيُّونَ حِينَهَا - كَمَا التَّوَم - بِأَيْدَانِهِمْ يَتَلَقُّونَ،
وَبِالسِّنِّيَّتِهِمْ يَنْشَأَتُمُونَ وَ«يَنْشَأَمَطُونَ»، وَعَلَى شَاشَاتِ الرَّدَحِ
الْإِغْلَامِيِّ «يَنْتَاقِشُونَ»، وَلِلْأَحْزَابِ يُؤَسِّسُونَ، وَلِلسَّلَاحِ حَامِلِينَ،
وَفِي الْأَزِيقَةِ مُتَنَفِّرُونَ، وَلِلزَّرْعِيمِ طَانِعِينَ مُزْعِنِينَ، وَفِي كُلِّ حِينٍ
يَجْمَعُونَ وَيَطْرَحُونَ، غَيْرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهْيُمُونَ، وَيَقُولُونَ عَلَى
الدَّوَامِ مَا لَا يَفْعَلُونَ !

ولم يَمَرَ عام 1975 إلا وَتَحَوَّلَ لِبْنَانٌ إِلَى سَاحَةِ حَرْبٍ
دَامِيَةٍ، وَتَحَوَّلَ وَسْطُ بَيْرُوتَ إِلَى رَمَادٍ أَسْوَدَ، وَقَوَّدَهَا الْأَسَاسُ غِيَابُ
الْوَعْيِ وَتَلَاشِي الْحِكْمَةِ وَسَيْطَرَةُ الْفِكْرِ الْمُنْغَلِقِ الْمُنْتَدِّرِ بِأَحْزَابٍ
«عُنْصَرِيَّةٍ» تَرِيدُ أَنْ تُلْغِي مَا سِوَاهَا وَتَمْسَحَهُ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ،
رَاعِمَةً أَنَّهَا تَعْمَلُ مِنْ «أَجْلِ لِبْنَانِ الْعَظِيمِ» أَوْ مِنْ «أَجْلِ قَضِيَّةِ
فَلَسْطِينَ». وَكُلٌّ يَعلَنُ عَنْ حَرْبِهِ «عَمَلًا وَطَنِيًّا» مُبَارَكًا وَ«جِهَادًا
ضَرُورِيًّا مَقْدَسًا»، وَهُمْ بِذَلِكَ زَاعِمُونَ أَنَّهُمْ آلِهَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ فَاعْلُونَ
وَلِصُكُوكِ الْغَفْرَانِ مَا نَحْنُ وَلِمَفَاتِيحِ الْفَرْدُوسِ مَا لَكُنْ، وَأَنْ قِتَالَهُمْ
وَلَوْ أَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ هُوَ النِّصْرُ وَالْفَتْحُ الْمُبِينُ ! أَنَّهُ «صِرَاعُ الْآلِهَةِ
فِي الْمَدَنِ الْمَقْدَسَةِ» !

وتخط «بنت النور» بمداد نُون التكوين في عين المحبة
سجلات «آلهة» الأرض:

• حديث في الهيكل

الكاهن الأول :-

الْمَدُنُ الْمُقَدَّسَةُ مِنَ السَّمَاءِ نَزَلَتْ
هِيَ مَسَاكِينُ الْأَلِهَةِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ

الكاهن الثاني :-

فَأَيُّنَ يَكُونُ الْأَبَالِيسَةُ ؟

وَهَلْ يَسْتَخْلِفُونَ الْأُمَصَارَ ؟

وَيَسْتَعِيدُونَ الْأَحْرَارَ ؟

فَهَا فَائِدَةُ تِلْكَ الْمَدْنِ الْمَقْدَسَةِ؟

الكاهن الثالث :

عَلَى شَجَرَةِ الْحَيَاةِ سُلْطَانُهُمْ
وَنَحْنُ مِنْ شَجَرَةِ الْخُلْدِ سُلْطَانُنَا

الكاهن الثاني :-

أَلَيْسَ آدَمُ أَرَادَ الْخُلْدَ لِنَفْسِهِ
فَقُضِرَ بَيْنَ الْخُلْدِ وَبَيْنَهُ بِكَوْكَبٍ؟

الكاهن الأول:-

هُوَ وَرِكَ الْأَنْسَى فِي الْعَالَمِ الْأَدْنَى
أَمَّا نَحْنُ فَالْوَزْكُ الْأَعْلَى مِيرَانُنَا

الكاهن الثاني :-

إِنْ كَانَ بِمَاءِ الْمَكَائِنِ ...
مِنْ صُنْعِ الْأَبَالِسَةِ
فَأَيْنَ فِيهَا تَوَرَّ الْأَلْهَةِ؟

الكاهن الثالث :

لِلدُّوْلِ انْقِصَاءٌ ...

يُظْهِرُ الشَّمْسَ رُسُلًا

وَبَسَائِرِ الْبِلَادِ هَبَاكِلُ تُبْنَى

الكاهن الأول :

إِذَنْ فَلْيُخْرِجِ الْأَعْوَرُ إِنْ خَرَجَ

وَنُصِرَ الْمُخَلَّصَ

إِنْ كَانَ مِنَ السَّحَابِ قَدْ نَزَلَ

الكاهن الثالث :

هِيَ حَزْبُ السَّمَاءِ إِذَنْ !

عند جَبَلِ الرُّيُوثِ

عَلَى أَسْوَارِ أَوْرُشَلِيمَ الْمُقَدَّسَةِ

الكاهن الثاني :

الويلَ الويلَ ..

الويل ...

لِسُكَّانِ مَمْلُوكَةِ الْأَرْضِ!
سَتُحَرِّقُ الْمَمَالِكَ فِي صِرَاعَاتِ الْآلِهَةِ!

• أسطورة تُنَلَى :
سَمِعْتُ حَوَّارَ الْكُهَنُوتِ
سَكْرَى ...
لَا وَ لَسْتُ بِالْحَدِيثِ آيَةً

إِنْ كَانَ الْحَوَّارُ هَمَسَاتِ آلِهَةٍ
فَكَيْفَ يَخْتَمُ يَوْمِلَاتِ حَرْبٍ وَهَاطِيَةٍ؟

وَإِنْ كَانَ نِقَاشَ أَشْرَارٍ
فَمَا شَأْنِي بِسِجَالَاتِ الْأَبَالِسَةِ !

وَإِنْ كَانَتْ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ
تَحَرَّكَ مُسْتَقْبَلُ الْآخِرِينَ مِنْهُمْ
حَرْبًا وَسُلْهًا

فَأَيْنَ صَنَاعِ الْأَسَاطِيرِ؟
لَيْتُمْ سَجَّوْا لِلْإِسْلَامِ مِثِّي
أَلْفَ أَلْفِ حِكَايَةٍ!

تَبَرَّأْتُ رَوْحِي مِنْ كُلِّ حَرْبٍ
وَنَحْوِ التَّوْرِ أَطْلُقَ قَلْبِي

عِنْدَ عَيْنِ الشَّمْسِ.....
لَتَوْلِدَ فِي نَوْنِ الْحُبَّةِ

حَبْرٌ عَلَى خُبْرٍ

وَتَنَمُو «بنت النور» بجسدٍ نَحِيلٍ وَرُوحٍ سَمَويَّةٍ، تَخْتَلِفُ
عَنْ قَرِينَاتِهَا، مُحِبَّةٌ لِلوَحْدَةِ خَجُولَةٌ، وَلَمْ تَعْرِفْ عَنْ عِرَاسِ الْبَنَاتِ
وَلَعِبِهِنَّ الْكَثِيرِ، فَبَعْدَ أَنْ أَنْجَبَتْ أُمُّهَا طِفْلَهَا الثَّالِثَ أَصْبَحَتْ بَيْنَ
صَبِيَّيْنِ بِالْعَابِ خَشْيَةً وَحَرَكَاتٍ خَطِرَةٍ، وَمَلَابِسٍ لَا تَحْمِلُ الْكَثِيرَ مِنْ
دَلَعِ حَوَاءٍ، فَشَعَرَهَا يُقْصَرُ رَغْمًا عَنْهَا بِاسْتِمْرَارٍ، وَمَظْهَرُهَا يُوحِي
بِإِهْمَالٍ بِالْغِ .

أُولَى خُطَوَاتِهَا فِي الْحَضَانَةِ لَمْ تَكُنْ لَتُنْسَى أَبَدًا، وَهِيَ
حَاضِرَةٌ فِي ذَاكِرَتِهَا بِتَفَاصِيلِهَا الصَّغِيرَةِ الْمُمْلَةِ، فَالْمَدْرَسَةُ كَانَتْ
بَانِسَةً كَمَا حَالُهَا، أُمُّهَا تُلْبِسُهَا بِنِطَالًا ذَا حَمَّالَاتٍ عَلَى الْكَتِفِ تَحْتَ
مِرْيَلَةٍ خَضِرَاءٍ صُبِمَتْ لِبِرَاعِ الرُّوضَاتِ عَلَى شَكْلِ قَمِيصٍ أَزْرَارُهُ
لِلْخَلْفِ؛ فَيَتَعَذَّرُ عَلَى الطِّفْلِ الْمَسْكِينَةِ خَلْعَ بِنِطَالِهَا لِدُخُولِ الْمَرَحَاضِ،
وَأَنْ اسْتَطَاعَتْ فَكَ أَزْرَارُهُ بِصُعُوبَةٍ فَإِنَّهَا لَنْ تَتِمَّكَنَ مِنْ إِعَادَتِهَا
ثَانِيَةً دُونَ خَلْعِ الْمِرْيَلَةِ وَهُوَ أَمْرٌ مُتَعَذِّرٌ، مِمَّا يَضْطَرُّهَا إِلَى إِمْسَاكِهِ
بِيَدِهَا طِيلَةَ الدَّوَامِ خَشْيَةً أَنْ يَهْبِطَ أَرْضًا إِلَى حِينِ عَوْدَتِهَا إِلَى الْبَيْتِ

البائس، وكثيراً ما كانت تَحْصُرُ بُولَهَا طيلة اليوم مع استحمال الألم والحرقة كي لا تَضْطُرَّ لخلع هذا البنطال الحَقِير الذي كانت تكرهه كثيراً. كانت تحلم بالفساتين الزهرية والخمراء والشعر الطويل الأملس ذي الضفيرتين والشرائط البيضاء والجوارب الجديدة أسوة بصويحباتها، على الأقل سَتَتَمَكَّن من قضاء حاجتها دون أن تَتَسَخَّحَ مَلابِسها. هي تكره هذه العملية المقيته كرهها للمراحيض المفقدة لأدنى شروط السلامة علاوة على النظافة، وكثيراً ما ترتجف ركبناها وجلا عند رؤيتها تلك الحفرة المقرقة وكم مرة جراء ذلك استَحْمَلَتِ المغص الشديد الذي تَحُولُ إلى إِكْتَامٍ مُزْمَنٍ لَارْزَمَهَا بقية حياتها.

ومع تَكَرُّرِ النزلات البردية التي كانت تُصِيبُهَا تَحُولُ أنفها اللزج إلى كُرَّةِ حَمراء متَشَقَّقة جِراء الرِّشْحِ المستمر فَنَمْسُخُهُ بِكَمِّ كَنْزِيَّتِهَا الصُّوفِيَّةِ الحَشَنَةِ؛ وَكَمْبُرِدٍ يَحْزَنُ اللحم الطريّ تسيل الدماء ممزوجة بعصارة صفراء.

كانت تَحْلُم بِحَقِيبَةٍ وَرَدِيَّةٍ مملوءةٍ بالمَحَارِمِ الورَقِيَّةِ المعطَّرةِ
النظيفة، وتنتظر بحسرةٍ الى حَقَائِبِ صديقاتها الجَمِيلَةِ الممتلئةِ
بالمأكولات الشَّهِيَّةِ الملفوفة بأوراق نظيفةٍ وأكياس لَمَاعَةٍ و محارم
بيضاء مرَّتبَةً، فحَقِيبَتِهَا السوداء الجلدية المَهترنة التي حُولت إليها
بعد أن أمضت سنوات في خدمة أخيها الأكبر نادرا ما تحتوي على
طعام ، وإن احتوت فَعَلَى لِفَافَةٍ يَابِسَةٍ يسرُحُ فِيهَا الزَّيْتُ بِصَحْبَةِ
الزَّرْعَرِ وَيَمْرَحِ، وقد نُقِشَ الحَبْرُ الأسود على الخبز الأبيض بعد
ان تكفل الزيتُ بحلِّ الجريدة المَهترنة التي تُعْلَفُ هَذَا «السندويش»
الرديء.

فرح بنت النّور بالطعام عارم وإن كان خبزا يابسًا، فغالبا
ما تُنْسَى دون وَجِبَتِهَا الغذائية، وكم مرة سألتها مُعلّمة الحضّانة عن
فطورها فتجيب المسكينة بهدوء يَلاَمِسُ الخُشُوعَ : «تناولته باكرا»،
عزّة نفسها تأبى ان تقبل حتى ضيافة قريناتها ولو تَصَوَّرَت جُوعًا.
وتُسمع هَمَسَ المُعلّمات قبل نِهَايَةِ الدوام بِقَلِيلٍ ؛ أُوَيْعَلُ
أن يكون حال هذه الطفلة ذات الأربعَة أعوام على هذا النحو؟!

فَعَانَلْتُهَا مَيَّسُورَةَ الْحَالِ! تَتَسَاءَلُ إِحْدَاهُنَّ، «أَمَهَا مَهْمَلَةٌ وَمَشْغُولَةٌ
بِأُمُورِ الْآخِرَةِ!» تَجِيبُهَا الْآخَرَى.

وَتَسْرَحُ «بِنْتُ النُّورِ» فِي خِيَالٍ جَمِيلٍ تَبْنِي بَيْوتَ الْعِرَاسِ
بِأَحْلَامِهَا وَتَزِينُ قُصُورَ الْأَقْرَامِ بِالْكِرَاتِ الْمُلُونَةِ وَتَنَامُ، تَفْتَشُ تَحْتَ
فِرَاشِهَا فُورَ نَهْوَضِهَا بَاكِراً وَتَبْحَثُ جَيِّدًا عَنْ هَدِيَّتِهَا، فَلَا تَجِدُ شَيْئًا،
وَتَعِيدُ الْكَرَّةَ مَرَاتٍ وَمَرَاتٍ، إِنَّهُ صَبَاحُ «عِيدِ الْمِيلَادِ» هَكَذَا حَكَتِ
الْمُعَلِّمَةُ وَأَخْبَرَتْ أَنَّ لِلْأَطْفَالِ الْيَوْمَ هَدِيَّةَ يُحِبُّونَهَا، وَالْيَوْمَ عَطْلَةٌ!
تَتَرَدَّدُ ثُمَّ تَتَحَمَّسُ وَتَسْأَلُ وَالِدَتَهَا عَنِ الْعِيدِ فَتَزَعِقُ الْأُمَّ وَتَنَعِقُ: «لَقَدْ
أَفْسَدَ الْكُفْرَةُ عُقُولَ الْأَبْرِيَاءِ بِأَعْيَادِهِمْ! لَقَدْ غَزَوْنَا بِمَعْتَقَدَاتِهِمُ الْفَاسِدَةِ،
لَقَدْ دَمَرُوا دِينَنَا! إِنَّهَا مَفْسُودَةٌ وَلَيْسَتْ مَدْرَسَةٌ! وَلِمَاذَا الْمَدْرَسَةُ
فِ«شَيْخَانَا» يَحْرَمُ تَعْلِيمَ الْبَنَاتِ وَيَجْرِمُهُ بَعْدَ سِنِّ الْعَاشِرَةِ! لَا بَدَّ مِنْ
نَقْلِ الْبِنْتِ إِلَى مَدْرَسَةِ «إِسْلَامِيَّةٍ» حَتَّى ذَلِكَ الْحِينِ!

كلامٌ كبيرٌ وخطيرٌ لم يستوعبه عقلُ البرينةِ الصغيرةِ غير
أنها فُهمت أنها ستكون حبيسة هذا البيت وبنس المصير! لا تعرف
الحساب ولكن حتى سن العاشرة وقت طويل جدًا وهو أكبر الأرقام
التي تعلمتها!

تتسحر بصمت في عيد الميلاد؛ الجميع من حولها فرحون
بعض أقاربها زينوا بيوتهم بأشجار جميلة براقية، اللون الأحمر
يذهب بقلوبها الى عالم ساحر. «السينون العصاة الفجرة الكفرة»
فقط هم الذين بهذا العيد يحتفلون، وهم بـ«النار الحامية الكاوية»
سيُعذبون! هكذا قالت لها والدتها!

لا تعرف ما معنى «الكفار» ولكن على ما يبدو هم الناس
«السعداء» الفرحون بالأعياد وبالحياة مرحون، إنهم يغنون
وللموسيقى يستمعون، يلبسون ما يشتهون وفي الحفلات يرقصون!
يالهم من محظوظين!

والدتها تُصَبِّ جامَ غَضَبِهَا اللفظي على «الآخرين»،
تُعْبِيرات لا تفقهها الصغيرة ولكنها تحمل في طيات بعضها التقدير
لآخر «مميز» لا يُمكن ان تدانيه فَنَشْتَمُهُ، فتنعت مذهبه هذا
بـ«منزلق الكفر» وذاك بـ«الضال»، وآخر بـ«الفاجر المجرم»،
وتضيف هم يستمتعون بـ«الدنيا الفانية» أما «المؤمنون فلهم
«الآخرة الباقية»، وكان السعادة بالحياة لا تجتمع و«الايمان»
أبدًا، وزاد في حدة مزاجها العدائي المُتطرف الحرب الطائفية التي
قسّمت اللبنانيين إلى فِسطاطين كبيرين، وكل فسطاط يشتمل على
أحزاب وتوجهات شتى، وكل حزب بما لديهم فرحون، وترى أن
هذه الحرب الضروس «نعمة سماوية» و«هبة ربانية» أرسلها
«الله» ليعيد الناس الى «جادة الصواب»، يكفي أن زوجها لم يعد
يجد مالاً ولا مكاناً للسهرة، وبدأت تلوح في أفق المجتمع ظاهرة
«الحجاب» بعد أن كانت حتى أواسط السبعينيات معدومة في
الوسط البيروتي و«السني» ومقتصرة بشكل محدود جداً على
بعض العجائز و«الفقراء» وبعض الخدم، وبدأت «الأصوليات»
والجماعات بالتشكل.

تُمة غفوية لا يمكن أن يفهمها الكبار في تصرفات تلك الصغيرة، ف«بنت النور» كانت ترى الراشدين مجموعة من الحمقى يتكلمون باستمرار وهم غاضبون ومستعجلون على الدوام، إنها تحب اللعب بأبسط الأشياء فتمضي ساعة تلهو بخيط تربطه، وفكرة تلوين الأظافر رائعة بالنسبة لها وإن كانت من عمل «النساء المنحرفات» حسب توصيف والدتها، أما قصّ الأشياء السخيفة فمتعة لا تُدانيها سائر الرغبات؛ كانت تعدّ أصابعها وتُحاورها وتتكلّم مع يدها النحيلة، ولا جواب عندها لأسئلتهم الخرقاء مثل «ماذا تفعلين؟» ولا تفهم معنى «اجلسي بأدب» !

كان رأس أصبعها الاوسط ليدها اليمنى كثير «الدوحاس» دائم الالتهاب والاحتقان، أحمر مُتبيساً ذا رأسٍ أبيضٍ حيث يتجمّع القيح، والصغيرة تحاول أن تقضم الألم مع محبتها الشديدة له فهو أطول أصابعها و«أكبرهم» لكنه مسكينٌ ضعيف، فكانت تقبله باستمرار وتمنحه حنانها، وتروي له القصص، وتغني له كي ينام، وتغطيه بلفافة كي لا يشعر بالبرد، وتبكيه عندما ينزف ويخرج منه

القيح، وتُعزّيه بأن الألم لاشك زائل وسيكون جميلا، ولكن سرعان ما يلتهب الاصبع نفسه من جديد وتعود الكرة مرة أخرى حتى أصبح منحنيًا ذا شكل مشوه.

أصابع قدميها ليست أفضل حالا، لا سيما في فصل الشتاء حيث تُصاب بخدرٍ مؤلم لا يُنسى، قدماها الصغيرتان من شدة البرد مُقرزة ولونها يميل إلى زرقاء أرجوانية مشوبة بالحمرة كألوان الشفق عند الغسق، ونصيب الأصبع الكبير من الوجع عظيم، فجرباها كانا على الدوام مُمزقين ومنقورين ككوة دائرية يُطلّ منها الظفر ليحفر في حذائها الضيق الذي تبلله الأمطار، فتتحول الجوارب إلى ثلاجة تُجمّد الشعيرات الدموية التي يحزّها الظفر المنغرز . كم مرة شعرت بالإحراج الشديد عند زيارة صويحباتها و اضطرت الى خلع حذائها فتعلّل سبب ارتدائها له بأن جواربها الجديدة في الغسيل! كانت تنظر الى جوارب ابنة عمها البيضاء المخرّمة الفارحة وإلى حذائها «سكربينتها» اللماعة ، يالها من محظوظة !

وتتفحص بنت النور خُشونة يدها الآن وتُطيل النظر إلى
إصبعها بتشويهه الطفيف إنه يكتنز آلام طفولتها الأولى ، وهو الآن
جافٌ مُتَشَقَّقٌ كبقية أقرانه وقد حُفرت فيه من فرط الاعمال المنزلية
خطوط سوداء مقوسة؛ تفركها يومياً بالحامض فيذهب السواد وتبقى
التشققات ؛ يقولون أن البصمات وخطوط اليد تحمل تاريخ الانسان
ومستقبله، لكنها اليوم تتعافى من جراحات روحها عبر وعي
التجارب كلها دون ضغينة على أحد. لطالما سيجت أحداث طفولتها
بالأحلام الوردية وكثيراً ما طوت آلامها في خزائن النسيان، وعملت
على تعويض هذا الحرمان فيما بعد، وهي تفهم الآن سبب هوسها
بإقتناء الملابس المريحة القطنية والجوارب الفارهة!

وعت التجربة والاختبار وعذرت مُرَبِّيها وإهمالهم وغفرت
خطاياهم، واجتازت الهوس والرغبة في التعويض، وكقصة فارغة
صار جسدها قيثاراً حبّ خالية عن الرغبات لا تريد شيئاً وعقلها
مستريحاً لقد اكتشفت لتوها العلل الأولى لسبب المشكلات، لقد
فتحت خزانة حياتها مشرّعةً لرياح أيلول، ولعواصف تبدد النسيان.

لكن السّماح خبرة لا تكتسب أو تُعلّم! وهي فردية ربما؛
وربما تتحول الى الجماعة، ولكن كيف للشعوب ان تمحو البؤس من
تاريخٍ مثقلٍ بدماء الأبرياء، وهل آلام الحروب تُبدد؟ وهل الضحايا
سيغفرون لجلاديهم؟! تتمنى ذلك وتكتب :

لأبُلّول...سَلام
مِن حَكايا القَلْب.... بِبُعْثِ
أَتَرَمَّ نَأْمُلًا وَلَغَةً الْأَرْواحِ تَراوَدُنِي
أَقصَّ صَفِيرَتِي أَمَامَ أَرْزَقِ
بِالسَّمْسِيسِ عُلِّقَتِ
لا تُنَحِّني ...
لا... ولا أَمَامَ دَهْرٍ
عَقَرَهُ العُنفُ بِالرَّماذِ
كَالسَّمْسِيسِ المَضِيئَةِ ... تُشْرِقُ دَوْمًا
فَلا الأَنْواءُ تُمَكِّعُهَا
وَلَا بِظِلَامِ السَّحْبِ تُكْثِرُكَ

عَاوَدْنِي أَكَالِيلَ الرَّثِيقِ
مَغْزُولُهُ يَدْمُوعِ الْمَاقِي... تَنْحِيبُ
حَمَرِ الزَّمَانِ عَلَى الْوُجَعَاتِ
مَجْزُوزَةٌ.....
بِأَسْلَاءِ الْأَبْرِيَاءِ... تُرْكِيصِمْ

وَقَامَ سَفَاخٌ بَعْدَ الْأَمِيسِ يَعْتَذِرُ
كَإِخْوَةِ يُوسُفَ ظَنَّ أَنَّ الْبُكَاءَ ... بَرَاءَةٌ
وَأَنَّ الْوَطْنَ بِالْأَعْذَارِ يَنْتَفِعُ
فَلَا يَعْقُوبُ ... صَدَّقَهُمْ
وَلَا التَّارِيخُ ... جَارَاهُمْ
أَلَا لَبَنَهُ فَهَيْمَ ... كَمَا الْأَحْزَارُ
إِنَّ السَّلَامَ بِرَغْمِ جَرَائِمِهِ ... سَيَنْتَوَسِرُ

أَنْتَ... عَلَى قُؤَادِي
حَمَامَةٌ ... تَكَلِّسُ
تُطْوِي... جُزَحَهَا
فَاخْتَصَّصَهَا الْقَلْبَ... حُبًّا
لَعَلَّ الْجَمَّاحَ بطيب السَّمَاكِ يَنْفَرِدُ

آهات الحرب و متآهات التهجير

محبّة «بنت النور» لنفسها في طفولتها الأولى لامتناهية كاملة النرجسية كإمبراطورة تتربع على عرش ذاتها شديدة الاعجاب بمواهبها، وهو أمرٌ في عرف «الأغبياء» و«المربين» جريمة لا تُغتفر، وعلّة لا بدّ من الجذورِ اقتلاعها بستار «التهذيب» و«التأديب»، فتجتمع مافيات «الدين» و«السياسية» و«التربية» لانجاز هذه المهمة التدميرية في مجتمع احترف الخداع!

عليها أن تحب الآخرين كي تكون فتاة صالحة!

عليها أن تحب أهلها وذويها ولو ذاقَت مرَّ العذاب منهم! أليس «الله» يقول: «فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَّانِي صَغِيرًا»¹

لا بدّ من الطاعة التامة والتبعية الكاملة لـ«الراشدين».

مجتمع مجنون مؤذٍ يجب أن ترضيه بل وتحبه؟!!

«بنت النور» لم تكن تحب تلك «الجنة» التي يتكلم عنها ممثلو «الرب»! كانت بانسة عاجزة عن التعبير وهي ترى والدتها تحيا حياةً مجنونةً مؤذية، فتوقظها من أحلامها الوردية أواخر الليل «لأداء واجب الصلاة» منتعلة حذاء ذا كعبٍ عالٍ تجوب به الدار محدثةً به جلبةً عظيمةً، لتبدأ حملةً ترتيل «صاخبة» تقتتحها «بالاستغفار» المزعج محدثةً صفيرًا وأزيزًا يصم الآذان، وتتبعها بتلاوة زاجرة «للآيات»، وتنتهي الأمر بموعظة ساخطة لأولئك النائمين «العصاة»!

البرد قارس و«بنت النور» لا تحب مغادرة الفراش الدافئ، ونعاسها شديد دائم ولا تعرف النوم إلا قليلا فقد تكفل الشجار العنيف بين والديها من حرمانها منه حتى منتصف الليل، فيما تكفلت «الأم المؤمنة» بحرمانها منه سحرًا حتى انبلاج الفجر! لا بأس إذن فقد انطوت ليلة بانسة... فإلى المدرسة حيث تنهار جفونها على طاولة الصف!

عليها ان تحب «الآخرين» إذن ولو كانوا «مزعجين» و«مؤذيين»، عليها ان تحب «الله» الذي يعيده «آبأوها»... عليها ان تكون لينة مطيعة!

تنزوي في زاوية الغرفة تتسلى بقصّ الورق تبحث عن دفترٍ قديمٍ أو مجلةٍ مهترئةٍ ، فتجد «مصحفاً» ذا غلافٍ أحمر طالماً حَفَظَتْ منه أجزاءً بدايةً نُطَقَها وهي الآن في السادسة من عمرها، تتأمل بعمق الغلاف وتفتحه، تراه غير مسلّ أبداً فلا توجد فيه صورةٌ واحدةٌ وهو من الألوان والأشكال خالٍ، إنه كتابٌ كريمٌ ومقدسٌ شريفٌ. «جميعهم» على ذلك متفقون!

لا تجيد القراءة بعد، غير ان كلامه بلاشك صعب وغير مفهوم بالنسبة لها، بيد أن أمراً وحيداً تعرفه جيداً وتختبره، وهو أن والدتها تعاملها بشكل سيئ وتحرمها من كلّ مبهج «بسببه» وطالما قرعتها وأنبّت الآخرين بآيات منه. تتلفّت من حولها مذعورةً وجلّةً، وتتأكد من خلوتها، وتطلق لغضبها وحزنها العنان !

كتابٌ جليلٌ مقدّسٌ لا يصلح عيش الانسان دونه، هكذا يقولون ! فلماذا إذن لا يُولد الطفل ويديه كتاب أو على الأقل يجيد القراءة كي يستطيع فهمه دون مساعدة «الكبار» ؟ لماذا علينا نحن «الأولاد الصغار» أن نستجدي أولئك الحمقى كي يفهمونا ما هو ضروري؟ لماذا يتحكّمون بنا ؟ أسئلة تزدهم في رأسها الصغير

الصيف حارٌّ ومُمِلٌّ! لا شيء يمكن فعله ضمن جدران المنزل سوى الانصياع التام لتعليمات أم احترفت النكد وتوجيهاتها وخططها وزياراتها المكرورة، وحال لبنان لا يبدو بخير هدوء حذر تخرقه معارك هنا وهناك، شوارع بيروت تحوّلت الى ما يشبه الخنادق بمتاريس ترابية واسمنتية، «الفدائيون» يملؤون أحياء الفاكهاشي وطريق الجديدة ومحيط الجامعة العربية، كانت تصغي الى تذرّ وادها المتكرر من الوجود الفلسطيني المسلّح الذي عطلّ مصالح أهل المنطقة وأرزاقهم عبر تسكير الأحياء وقطع الطرق ...

إنه صباح يوم الجمعة الرابع من حزيران 1982 وبنت النور تنتظر يوماً جميلاً فريداً، فستزورها ابنتا عمها وستجلبان معهما العرائس الجميلة ، كم هو ممتع تمام الانغماس باللعب! لم يمضِ وقت قصير حتى تناهت أصوات قصف غير بعيد؛ وجَلَّ الأهل وهمّت أم البننتين بالرحيل و الأطفال يرجون من وقت اللعب المزيد، وهم ببراءتهم بالاحداث «الضخمة» غير أبيهين، فهؤلاء الراشدون «معانيه» ومن أبسط الأشياء وجلون!

يقولون ان غارة شنتها «اسرائيل» لتوها على المدينة الرياضية في بيروت! لا معنى لذلك سوى ان اليوم الجميل قد أفسده الكبار بخوفهم!

وتوالت الأحداث ولم ينتصف حزيران إلا وقررت العائلة مغادرة لبنان إلى دمشق. بنت النور سعيدة بأجواء الفوضى العميمة تلك! على الأقل ثمة ما يزيح الملل! فالكبار الآن إلى القضايا «المهمة» منصرفون، وحول السياسية والأحزاب يتحدثون، وعن «تأديب» الأطفال منشغلون!

في دمشق اجتمعت عائلات لبنانية عدة في شقق متجاورة؛ فيا له من أمر رائع! اللهو مع الأقارب والأطفال متاح ليل نهار!

صيف سائرٌ بالنسبة لبرينة لا تجيد الا اللهو في صغير الهوايات، وهي لا تفهم سبب تعاسة الكبار وشجارهم المستمر عن «الميراث» وعراكمهم المتواصل حوله، وتذمرهم المستمر من طريقة العيش و«التهجير». والدها قرر اللحاق بأهله الذين اتجهوا الى حمص حيث استملكوا بيتاً، فيما الأم أعلنت رغبتها البقاء في دمشق مع ذويها «أصحاب الدين» فليلق «الزوج ملعون» بأهله أصحاب «السهر والفجور والسفور»!

صيف ساخن أمضاه الأطفال بين نار التّنقل والترحال على طريق (الشام- حمص)، لينتهي مطاف التشّطي مع حلول الخريف في شقة بمنطقة «المزة فيلات» قدّمها لهم أحد الأصدقاء ليقيموا بها مؤقتًا حتى تضع همجية الحرب أوزارها.

وبالريف الدمشقي في قرية «بلودان» الوداعة ثمة كنيسة عتيقة عشقتها «بنت النور» واتخذت من فنائها مسرحًا لفنونها، تُطعم فيها العصافير وترصد حركة النمل يتنقل بين الأوكار وتعانق جذع شجرة هرمة عتيقة، وكم مرة جمعت لحى الأشجار المتساقطة وأوراق الخريف وضمت منها طوقًا زيتنت به عرائسها! مكان ساحرٌ خلاب تعشقه بكل المقاييس! لكنه «معبد للضالين» هكذا يقولون! والصغيرة لا تأبه بكلامهم!

لا تريد للشمس أن تغيب، وتناشد السماء أن تمنحها فرصة البقاء أطول ما يمكن في سحر هذه القرية. ماذا سيحلّ بأصدقائها العصافير من بعد رحيلها وكيف للقطّة البيضاء أن تلعب من دونها؟ لكن اقامتها هنا لأيام معدودة! هكذا يقولون! تَبًّا لهم ولأقوالهم ولقراراتهم!

الكبار حول الحرب يتهايمسون، وعن موعد عودتهم الى بلادهم يتساءلون، الأخبار مقلقة فإسرائيل اجتاحت لبنان وجيشها في بيروت منتشر، فما هم حيال الأوضاع فاعلون !

ثمة خبر عاجل عن راديو مونت كارلو يشير الى اغتيال الرئيس اللبناني «بشير الجميل»¹ ، أحدهم يصيح «الله ينجينا»! الخوف كل الخوف من ردود فعل انتقامية، والانظار نحو فلسطيني لبنان موجهة!

الكبار لا يتوقفون عن الكلام ومتابعة الاخبار عبر المذياع و«بنت النور» بهواياتها وصديقاتها منهمكة !

في بيت بلودان المستأجر تلفاز صغير صندوقه بلاستيكي ذولون أحمر مبهج تغطيه قطعة «كروشه» سمراء، لم يجرؤ أحد من الأطفال على لمسه لأنه في عُرف «الاتقياء» «شيطان رجيم» و«عدو للأخلاق مبين»! ومن أراد معرفة الاخبار فموجز قصير

1 - سياسي لبناني وقائد عسكري في «حزب الكتائب» انتخب رئيسا للبنان في 23 اغسطس 1982 خلال الاجتياح الاسرائيلي، تم اغتياله يوم الثلاثاء في 14 سبتمبر 1982.

عبر المذياح يَكفيه و هو ما يجيز «الشرع» سماعه بحكم الضرورة و«الضرورات تبيح المحظورات» ! وإذا ما أعقب الخبر أغنية سارع الجميع الى إخماد هذا «البوق الجهني اللعين»، كيف لا وسماع «الموسيقى» جريمة كبرى تستوجب «صب الحديد الحامي في أذن سامعيه»! إذن فما ظنكم بجريمة مشاهدة التلفاز «مسرح الشياطين»؟

جهازٌ خطر لا يقتنيه إلا الفجرة! فبيوت «الأتقياء وأهل الجنان» من شرّه خالية، ولولا ان البيت الجبلي هذا مستأجر بفرشه لتمّ تحطيمه أسوة بأصنام الجاهلية الأولى!

وتسرح «بنت النور» في خيالٍ جامح تداعب مخيلتها صور العرائس في أفلام الكرتون؛ و تمنى نفسها: أيا ليتنا نشاهد شيئاً منها اليوم ، يا له من صندوق مبهج ! كم مرّة استرقت النظر إليه من بيوت الجيران وكم مرّة رغبت في الجلوس أمامه بمنزل جدّها ! إنه أداة ساحرة جميلة !

ولكن لا بأس من اللعب في فناء الكنيسة حتى الغروب والشمس تغيب مسرعة في الايام المبهجة ! أقلّ النهار ولا بد من الأفول معها إلى البيت بسرعة !

ثمة «عجيبة» تحصل! الكبار امام التلفاز مجتمعون !
وتسرع البرينة الصغيرة لتحتل مكانا أمام شاشته الصغيرة ، تريد
ان تشاهد كل التفاصيل بكل حواسها!
صورٌ مقرزة لأشلاء متناثرة وجثث منقخة، وعجوز
نُحر أمام عصاه وقد سقطت من يده بطاقة الهوية اللبنانية وعلى
قدميه طفل تكوّم ! بشاعة المجزرة لم تخففها رداءة استقبال بث
تلفاز الأبيض والأسود ! ياله من حظ سيئ ! كانت البرينة تظن ان
التلفاز يروي القصص الجميلة الممتعة فقط...إنها مجزرة صبرا
وشاتيلا المروعة! ! إنها كارثة !
وتسقط من عين «بنت النور» دمعة تنسكب بكاءً حارًّا

1 - مذبحة نفذت في مخيمي صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين في 16 أيلول 1982 واستمرت لمدة ثلاثة أيام. ووفق تقرير البي بي سي ومنظمات حقوقية غربية فإنها تمت على يد المجموعات اللبنانية المتمثلة بحزب الكتائب اللبناني بعد ان اجتمع اربيل شارون بمقاتلي الحزب عقب اغتيال بشير الجميل ودعاهم الى الانتقام موجها الاتهام الى الفلسطينيين بعد ان حاصر الجيش الاسرائيلي المخيمات . عدد القتلى في المذبحة لا يعرف بوضوح و بي بي سي تقول ان عدد القتلى 800 فيما تقول المصادر الفلسطينية 3500 قتل من الرجال والأطفال والنساء والشيوخ المدنيين العزل من السلاح، أغلبيتهم من الفلسطينيين و من بينهم لبنانيون أيضا. ويتبين لاحقا ان الذي اغتال الجميل هو «حبيب الشرتوني» مسيحي قيل انه ينتمي لحزب القومي السوري .

حزنا على المناظر وأسفاً ! فتخرجها إحدى الحاضرات الى الغرفة
المجاورة مهدئة من روعها قائلة إننا نعيش هنا بأمان بعيدين عن
كل الأشرار!

ويعمق أحداث الماضي بنت النور تغوص، مشاهد المجازر
تتكرر أنا بعد أن، بالأمس أطفال قانا دماؤهم عفرت التراب، ثم
ماذا؟ أه مما يحصل الآن! وحبر الاقلام جف وصفاً وأسى، ثمّة قليل
منه يكفي لرسم بعض من بقايا السلام؛ الكل تبرأ من المجزرة، ترى
من هم الفاعلون إذن والعدالة تشي ان الذنب يقع على البعض ولكن
مسؤولية الجريمة يتحملها الكل؛ فتكتب بعد انقضاء ثلاثة عقود:

مررت ببوابة التاريخأنظر

أرقب أقنعه تَهَاوَى

قناعاً تلو القناع

أُسْتَمُّ ...

رائحة خميرة حربٍمدوّنة

في قلب البشرية ... الآن

لن نخدم أنفاسي

ولن يقهرني ... طول ليلٍ مسحور

أضقد جراح الإنسان

ألتقط كلّ القهر...

المصلوب على الجدران

يَسْقُطُ قَنَاعُ «الْحَرْتِ»
وَيَتَهَاوَى قَنَاعُ ... «السلام»
يَتَكَسَّرُ...
على أسوار مدينته ... أحيرام
يسقط ... من يدي قَلَمٍ
تضيَعُ الحُرُوفُ العَابِرَةُ
تتلاشَى ... الرسوم
تختلطُ الألوانُ

أضيءُ ليلاً شُمُوعَ السلام
وأصلي ...
لأجسادِ أطفالٍ عَقَّرَهَا الترابُ

كيف تُلَوّن ريشتي بعد اليوم

نهارك يا بيروت ؟؟؟؟

كيف أرمّ بالحروف الصّائغة

لئلك يا لبنان ؟؟؟؟

و سيوفٌ... أشهرت

حزّ الرّقاب... تلوّ الرقاب..

تلو الرقاب....

فهل قدرنا أن نكون قرايينَ مَعبدٍ ؟؟؟

وهل قدر لبنان ان يكون مذبَحَ إنسانٍ ؟؟؟؟

من صبرا... إلى شاتيلا

من قاتا.... إلى القاع

من الغارّة إلى الشّيّاخ

من أُمَّ تعجبُنْ خبيرًا
إلى طفلٍ يرتع
عند زيتونَةِ ذاك البستان

ضمير الانسانية مخدّر
أُغرق في سُبَاكٍ إدمانٍ

إليك يا لبنان المحبّة
من منفى الجرح
إليك يا بيروت من تغريبتي
بعضًا من الحنان

من هناك ...
أُطِلُّ إِلَيْكَ الآنَ أَخْطُ سَطَوْرًا
ودانهُ...أغزلها من دموع عيونِ
الأمهات ..
إكليبلاً ... يَرْطَبُ ترابَ إنسان

فسلاًماً لبنانِ إِلَيْكَ
وسلاًماً لك ...

من فوق كلِّ الحضاراتِ
من فوق كلِّ الأديانِ

من فوق كلِّ حاجزٍ
من فوق كلِّ بنيانٍ

أعبرَ قرونًا من التقنية المدمرة
أطوي كلَّ معتقِدٍ
أسلكَ طرقًا تتقاطع مع كل إنسانٍ
أعبرَ مستويات الوجود الآن
أعبرَ الواقع والذات
أطيرُ إلى أبعد.. من أبعدِ جَوهرٍ
أجتاوز الأسباب ... والمسببات
أمرّ.. فوق كل الكلمات والتسميات

هناك عند الرّوح تهدأ رُوحِي
وتسكن عند إبداع ... إنسان
فما ألمني
صراع أدبكت أطرافه
واكتويت لجرح
أي كائن
وأعبر اليوم لأجل إنسان

وتعتبر «بنت النور» الى المجهول فالماضي لم يعد يعني لها
 شيئا، ولا غاية مستقبلية لها ، تعيش أنتها وحسب ، فتمام قطع الجذور
 جراحة أنجزتها لتوها عقب سرد المعاناة والغوص في التجربة،
 ولم تعد بالأمس بعيدة وقريبه متأثرة ولا بتاريخ الأمم مكترثة لقد
 تحررت من الاعتيادي المعروف ، أخبار صراعات «المنطقة»
 كمكب نفايات تخلصت منها، هؤلاء المجانين والمهووسون بالقتل
 يتزايدون ومن اجل خططهم يتناحرون ! وباسم الرب يتذابحون !

ألا ليتهم كالبهائم يعيشون ! ألم يروا أن المحيط يطوي
 حاملات الطائرات كما يمنح أحياءه الحياة، والأرض مازالت كما
 كانت تطوي ذكرى الحروب تحت شجرة الزيتون ...وَجُودٍ لا
 حدود له تُشرق الشمس ... والغيثُ من السحاب ينزل... والعشب
 ينمو دون استئذان....

حمقى يهدرون دماءهم "لحماية الحدود" أليست الحدود
خطوطاً رسمها الغابرون؟ أليس الطير يعبرها بلا جواز سفر ودون
اعتراف من أحد ودون ان تفتشه "الجمارك"؟ " أفلا ينظرون إلى
الأرض كيف تُبَادِلُ شرورهم بَعْطاء لامتناه؟

ومن صميم الألم المُرتَسِم على وجه الانسانية من هول الحروب
والمجازر.... تهبُّ عَنقَاء السلام مِنْ تَحْتِ الرَّمَاد على الدوام...

• صَمْتُ الْمَدَائِنِ •

صَمَّتْ ضَمَائِرُ طِفْلَةٍ ...

عَلَى وَجَعٍ فَجِرٍ

سَقَعِ بَيْنَ الْحَرَائِبِ

وَكَوَارِي فِي حُضْنِ الْبَتُولِ

قَمَرٌ .. اخْتَرَقَ بَعِينِيهِ

صَمْتُ الْكُنَائِسِ

وَكَأَسْ مِنْ يَدِ صَيِّتِهِ هَوَى

عَلَى سُفَّتَيْ جَنِينٍ

يَلْنُ ... بَيْنَ الْحَارِقِ

سَكَبَ الشَّرَّ جُنُونًا

فَاسْتَفَاقَ الْأَسَى

بَهْزَ ...

وَبَهْزُ جُدْرَانِ الْمَدَائِنِ

عَلَى أَجْنَحِهِ مَلَاكِ الصَّبْرِ

أَرْوَاحِ الْأَطْفَالِ تُسَافِرُ

وَبَنَاتِ عَشْتَرُوتٍ ... يَسْكُبْنَ الْحُزْنَ

لَا يَمُ ... دُحِبَتْ بَيْنَ الْحَمَائِلِ

• في خان يونس :-

وَعَجُوزٌ كَقَدِيمِ التَّارِيخِ

تَسَاءَلَتْ:

إِنْ أَحْرَقْتُمْ بَيَّارَةَ الْأَجْدَادِ

وَسَجَّئْتَهُمْ هَا.....

فَإِنَّ حُرِّيَّةَ رُوحِي

أَبَدًا....وَأَبَدًا تُقَاوِمُ !

حُصْرَاءُ هِيَ ...
يَا لَتُورِ أَغْرِسَهَا
يَا حُصْرِ زَيْتُونَةٍ
بَزَيْتِ الْمَسِيحِ عَجْنَتُهَا
وَسَابَقَى ...
وَسَابَقَى
عَنْ غَصَنِ الزَيْتُونِ.. أَدَافِعُ/

• أنشودة وُرْد:

فِي حَيِّ الزَّيْتُون....

رَضِيعٌ

مَا زَالَ لِلْحَبِّ يَغْنِي

يَرْتَلِ أَنْشُودَةَ وَرْدٍ

بِرَغْمِ الْأَلِيمِ ---

بِرَغْمِ الْجُرْحِ ---

وَبِرَغْمِ الْقَهْرِ... يَغْنِي/

وَيَعْنِي:

فَلْتَأْخُذُوا عَنِّي الْعَايِي
وَلْتَنْزِعُوا مِنِّي مُرْضَعَنِي
وَلْتَحْرِمُوا الْحَيَاةَ لِحَسَدِي

فَلَا نَهَايَةَ لِأَغْنِيَتِي
لَا..... وَلَا حَدَّ لِأَحْلَامِي
وَسَابَقِي.....
بِرَغِيمِ الْحِصَارِ أَغْنِي

سَابَقُكَ فِي قَلْبِ كُلِّ الْأَطْفَالِ
وَسَابَقِي...
وَسَابَقِي بِرَغِيمِ الْعُنفِ ... أَغْنِي

وَأَعُوذُ

وَلَوْ مِتُّ أَعُوذُ

وَأَعُوذُ ...

عَبَّرَ الْأَكْوَانِ أَعُوذُ

أَتَكُونُ عَزُفًا ... وَأَغْنِيَهُ

وَسَابِقِي بِرَغَمِ الْمَوْتِ ... أَعْنِي

وَلَأَجِلِ الْأَحْرَارِ أَعْنِي

• وَأَكْتُبُ فِي مُفَكَّرَتِي :

أَرَى حَمَامَةً تُتَنَفِّضُ
هَنَّاكَ عِنْدَ بُرْكَانٍ هَائِجٍ
وَقَفْتُ وَهَوَلَ الدَّمَارِ أَعْمَانِي
عَنْ سِرِّ الْجَحِيمِ أَسَائِلُهَا.

هَلْ هَيَّاكِلُ السَّلَامِ يَجْمَعُ الْأَطْفَالَ تُبْنَى ؟
أَمْ أَنَّ مَمْلَكَةَ الرَّبِّ بِالْأَسْأَلِ حَيْكُتْ ؟
وَهَلْ قُرَابِينُ الْآلِهَةِ مَذَابِحُ رُضِعَ ؟

دَمَعَتْ رُوحَهَا تَنْهِيْدَةً مَلَتْ سُرُورَ بَنِي الْبَشَرِ -

اللَّهُ وَاحِدٌ....

و”آلِهَةٌ” الْأَرْضِ كَثُرَ

فِي كُلِّ أَنْ يَتَقَاتَلُونَ /

وَبِأَسْمِ الْمَكُونِ يَتَعَارَكُونَ /

وَعَلَى الْإِنْسَانِ يَتَأَمَّرُونَ /

فَأَغْمَدِي..... سَيْفَ

يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ مَحَبَّةً

فِي قَلْبِ الْكَائِنَاتِ

عَلَّنَا بِالْحُبِّ نَعِيدُ بَهَاءَ الْوُجُودِ



بِنْتُ النُّورِ تَدِينُ بِدِينِ الْحُبِّ

1 - رائعة من فن الخط العربي . تمثل صورة امرأة نظمت بأبيات شعرية لمحبي الدين ابن عربي يقول فيها : أدِين بدين الحب أنَّى تَوَجَّهْتُ * وكأني به ، فالحب ديني وإيماني» ، وهي من أعمال الفنان حسن موسى وهو نافذ فني سوداني من مواليد 1951 ومقيم حالياً في فرنسا .

إِلَهُ الْعَائِلَةِ وَبِنْتُ النُّورِ

كَانَ بَيْنَ أَفْرَادِ عَائِلَتِهِ كَطَاوُوسٍ بَيْنَ أَفْرَاحِ الدَّجَاجِ، إِنْ نُكِّلَ طَاطَأُوا رُؤُوسَهُمْ إِذْعَانًا وَمُوَافَقَةً، وَكَانَ اللهُ قَدْ انْتَدَبَهُ مُمَثِّلًا لَهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَاتَّخَذَ مِنْهُ رَسُولًا وَتَرْجَمَانًا لِشَرْعِهِ الْحَكِيمِ؛ وَإِنْ غَضِبَ ارْتَجَفُوا خَوْفًا مِنْ بَاسِهِ، وَ رَاجَعُوا فِي ذَوَاتِهِمْ أَلْفَ أَلْفِ حِسَابٍ، وَأَنْبَتُوا أَنْفُسَهُمْ كَمُجْرِمِي حَرْبٍ يُحَاكِمُونَ أَمَامَ سُلْطَانٍ عَادِلٍ.

كَانَ وَاسِطَةً عَقْدِ عَائِلَةٍ مَكُونَةٍ مِنْ خَمْسَةِ أَفْرَادٍ يَحْتَلُّ فِيهَا تَرْتِيبُ الثَّلَاثِ، تَصْغَرُهُ صَبِيَّتَانِ وَتَكْبِرُهُ أُخْتُ وَأَخٌ شَاءَ الْقَدَرُ أَنْ يَسْلُبَهُ سَمْعَهُ وَنَطَقَهُ وَهُوَ طِفْلٌ رَضِيعٌ.

اتَّجَهَ نَحْوَ أَبِيئِدْيُولُوجِيَّةِ الْجِدَارِ وَهُوَ لَا يَزَالُ طَرًّا أَمْرَدًا، فَوَقَعَ فِي قَبْضَةِ «رَجُلٍ دِينٍ» لِيَتَلَقَّى مِنْهُ تَعَالِيمَ جَعَلَتْ مِنْهُ ذَنْبًا عَقَائِدِيًّا بَيْنَ نِعَاجِ فِطْرِيهِ؛ فَاتَّخَذَ مِنْ «الشَّرِيعَةِ» حِصْنًا مَنِيعًا لِيُطْلِقَ سِهَامَ «التَّكْفِيرِ» و«الْجَهْلِ» عَلَى مَنْ هُمْ حَوْلَهُ. فَكَانَ لَا يَرَى فِي حَيَاةِ الْآخَرِينَ الْمُخْتَلِفِينَ عَنْهُ إِلَّا «جَاهِلِيَّةً كَافِرَةً» تَسْتَحِقُّ الْاِقْتِلَاعَ

بـ«الجهاد»، فابتعد عن البشر وتظاهر «بالتدين» ونصب نفسه «مصلحاً» لمجتمعِهِ و «واعظاً» لأقرانه و«قواماً» على إخوته أجمعين.

وأعلن العُصيان على والدِ رؤوف قضى حياته في فن العيش النبيل مع إخوان له في الانسانية من أبناء الطوائف الأخرى والسعي على العائلات الفقيرة والأرامل المستورة .

أعلن الابن الحرب الضروس على والدِ حدثي لأسباب لا تُحصر، كيف لا وهو يتعامل مع «كفار» ويسعى في حوائجهم، ويرتكب «الموبقات» بعدم امتثاله لكراسات وصايا «رجال الدين»، وذنوبه تلك في عرف الابن المودلج كثيرة وكبيرة، وتسحق الرجم والجلد وإقامة الحد، الأمر الذي حوّل البيت الهائى المنفتح على حضارة القرن العشرين إلى جحيم مُقيم، وتكنة تعود للقرون الوسطى خاضعة للعالم «الأخ القاند» الذي أخذ يُملي إرادته على أخيه المعوّق وأخواته البنات.

ولم يَلْبَثِ الأمرُ غَيْرَ بَعِيدٍ إِلَّا أَنْ اخْتَارَتْ رُوحُ الْوَالِدِ الْكَهْلُ
الانِعْتَاقَ إِلَى مُكُونِهَا قَبْلَ أَنْ تُتِمَّ عَقْدُهَا السَّادِسَ لِتَرْتَاخٍ مِنْ مُنَاكَدَةِ
الابنِ وَتَكَالِيفِ الْحَيَاةِ.

اغْتَبَطَ الابْنُ أَيْمًا اغْتِبَاطَ بُوْقَاةِ الْوَالِدِ الْمِسْكِينِ الْمُفَاجِئَةِ،
وَأُورِثَ نَفْسَهُ «الزَّعَامَةَ» الرَّسْمِيَّةَ عَلَى وَالِدَتِهِ وَإِخْوَتِهِ، كَيْفَ لَا
وَكَانَ الْأَبُ عَقَبَةً كَثُودًا فِي وَجْهِ سُلْطَانِهِ، فَمُنَحَ نَفْسُهُ الْحَقَّ الْحَصْرِيَّ
بِالتَّصَرُّفِ الْمَطْلُوقِ فِي كُلِّ الشُّؤْنِ وَأَصْبَحَ الْأَمْرُ النَّاهِي الْوَحِيدَ
الْمُخَوَّلَ بِصَرْفِ «الوصفات الروحية»، وَتَوَزَّعَ بَيِّنَاتُ الشُّجْبِ
وَالْإِدَانَةِ، وَمُنِحَ «صُكُوكِ الْغُفْرَانِ» وَ «الْحَرَمَانِ الدِّينِيِّ»، فَالزَّمَ
أَخَوَاتِهِ بِتَعَالِيمِهِ الْجَانِرَةِ، وَأَخَذَ يُطْلِقُ «الْفَتَاوَى» الشَّاجِبَةَ لِكُلِّ مُبْهِجٍ
فِي الْحَيَاةِ، وَيُحَرِّمُ كُلَّ سَبِيلٍ لِلْعَيْشِ الرَّغِيدِ، وَيَرَى فِي كُلِّ طَرِيقَةٍ
مُخَالَفَةً لِرَأْيِهِ دَرْبًا مِنْ دُرُوبِ ابْنِ لَيْسَ اللَّعِينِ .

كَانَ يَزْهَوُ بِنَشْوَةِ الْإِنْتِصَارِ وَيَتَهَادَى بِأَرْتِيَاكِ سُلْطَانِ مَلَكٍ
مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَيَرَى أَنَّ الرَّبَّ «بَارِكُهُ» مِنْ غُلَاهُ
وَحُلَّصَهُ مِنْ سُلْطَةِ الْأَبِ «الْمُنْحَرَفِ» لِيَقُودَ الْعَائِلَةَ الْمَصُونَةَ إِلَى
بِرِّ «الْإِيمَانِ» وَقَسِيحِ «الْجِنَانِ» فَهُوَ «مَخْلَصٌ» زَمَانُهُ الَّذِي بُعِثَ
لِهَدَايَةِ الْعَالَمِينَ.

فَكَانَ إِنْ أَمَرَ إِحْدَاهُنَّ بِفِعْلٍ ظَلَمَتْ جَامِذَةً صَامِتَةً، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ
أَدَانَهَا مِنْ عَرْشِهِ بِذَنْبٍ عَظِيمٍ وَبِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ؛ فَمَنْ تِلْكَ الَّتِي تَتَجَاسَرُ
وَتَرْفَعُ عَيْنَيْهَا كَيْ تُنَاقِشَهُ وَهُوَ «سَيِّدُ الْعَائِلَةِ» وَ«إِمَامُ الْإِتْقِيَاءِ
الْوَرَعِيِّينَ»؛ وَإِنْ هُوَ أَنْتَنِي عَلَى صَنِيعِ أَحَدِهِمْ فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ بَرَكَهَ
«قُدْسِيَّةٌ» مِنَ السَّمَاءِ خَلَّتْ لِتَوَّاهَا عَلَى صَاحِبِ هَذَا الْفِعْلِ فَاسْتَحَقَّ
النَّعِيمَ الْمُقِيمَ.

وهكذا، كُنْ ضَعِيفَاتٍ تَعِيسَاتٍ مُكْبَلَاتٍ بِقَيْدِ فَنَاعَاتِهِ الْفِكْرِيَّةِ
الْمُنْحَرِفَةِ، وَأَسْرِ مُعْتَقَدَاتِهِ الْعُسُوفَةِ، وَأَغْلَالِ شَرِيعَتِهِ الْجَامِذَةِ
الظَالِمَةِ؛ وَكُنْ بِفَقْرِهِنَّ الْعَقْلِيَّ مُكْتَفَاتٍ، وَبِحَاجَتِهِنَّ الدَّائِمَةَ لِاعِزِّافِهِ
«بِنِزَاهَتِهِنَّ وَتَقْوَاهُنَّ وَوَرَعِهِنَّ» مُفْتَقِرَاتٍ، وَمِنْ غَضَبِهِ الْمُسْتَطِيرِ
وَجِلَاتٍ، وَلِرِضَاهُ عَلَى الدَّوَامِ طَالِبَاتٍ.

قَادُهُنَّ الْقَدَرُ إِلَى الزَّوْاجِ السَّرِيعِ؛ فَوَاحِدَةٌ تَرَوِّجُهَا تَاجِرٌ لَمْ
تُحِبَّهُ يَوْمًا قَطُّ، فَسَنَّتْ عَلَيْهِ الْمَعَارِكِ «الْكَاسِيحَةَ» بَلَوُ الْمَعَارِكِ لَا عِنَّةَ
سُلُوكِهِ «الْفَاجِرِ» عَلَى الدَّوَامِ، كَوْنَهُ لَا يَجِدُ فِي أَخِيهَا إِمَامَ الْخَلْقِ وَسَيِّدَ
الْمُرْسَلِينَ.

أما الثانية فَرَوَّجَتْ مِنْ قَرِيبٍ لَهَا ذِي مَزَاجٍ مُتَغَيِّرٍ وَأَرَاءَ
مُتَقَلِّبَةٍ، وَلَا يَعْرِفُ لِلْإِسْتِقْرَارِ سَبِيلًا، فَعَاشَتْ مَعَهُ فِي حَالَةٍ انْتِقَالٍ
دَائِمٍ وَتَرْحَالٍ مُسْتَدِيمٍ، وَاخْتَفَى خِلَالِ الْحَرْبِ الْأَهْلِيَّةِ اللَّبَنَانِيَّةِ قَبْلَ
أَنْ يُنْهِيَ مَعَهَا عَامَهُ السَّابِعَ تَارِكًا لَهَا عِدَّةَ أَطْفَالٍ، فَاتَّخَذَتْ مِنْ شِعَارِ
«الْأُمِّ الْفَاضِلَةِ» سِتَارًا لِمُمَارَسَةِ مِهْنَةِ النُّكْدِ، وَمِنْ قَانُونِ «الْوَصَايَةِ
عَلَى أَوْلَادِهَا» حِرْفَةً لِلْإِحْتِيَالِ عَلَى أَهْلِ زَوْجِهَا .

وَالثَّلَاثَةُ اخْتَارَ لَهَا أَخُوهَا زَوْجًا يَنْتَمِي بِعَقْلِهِ إِلَى عَهْدِ
«قِرَاقُوشٍ»، فَكَانَتْ تَقْبَعُ فِي عُبودِيَّةٍ تَامَّةٍ كَامِلَةٍ لَا تَعْرِفُ لَهَا مَلَادًا
سِوَى مَرِّ الْبُكَاءِ، وَلَا تَعْلَمُ عَنِ الْحَيَاةِ سِوَى جُدْرَانٍ أَرْبَعَةٍ، وَذِكْرِيَّاتٍ
طُفُولِيَّةٍ جَمِيلَةٍ تُخَبِّئُهَا فِي ذَاكِرَتِهَا تَمْنَحُهَا بَعْضًا مِنَ الصَّبْرِ وَالسَّلْوَانِ.

لَمْ تَنْتَه «وَصَايَةُ» الْأَخِ بِزَوْاجِ أَخَوَاتِهِ الْمُتَشَنِّجَاتِ، بَلْ تَعْدَى
الْأَمْرَ لِيَتَدَخَّلَ فِي تَفَاصِيلِ يَوْمِيَّاتِهِنَّ، فَأَصَافَ عَلَى سُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ
سُلْطَانِ التَّحْكُمِ بِأَوْلَادِهِنَّ وَبَنَاتِهِنَّ، فَأَخَذَ يَتَدَخَّلُ فِي كُلِّ شَارِدَةٍ تَرِدُ
وَفِي كُلِّ وَارِدَةٍ تَمُرُّ؛ حَتَّى إِذَا مَا شَاءَتْ ظُرُوفُ الْحَرْبِ أَنْ تَجْمَعَ
الْجَمِيعُ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ، أَخَذَ يُخْضِعُ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِ لِمَا سَبَقَ أَنْ مَارَسَهُ

على جيل أمهاتهن من التائب و«التربية» والإذلال والاختصاص
وشتى ألوان الإكراه منزلاً أحكامه «العرفية» على الجميع مُدْخِلاً
إياهم في جحر منهجه وخُرم معتقده.

وفي يوم من أيام تموز القاسية استيقظت صبية لم تتجاوز
الرابعة عشرة وقد أعياها الأرق والأسئلة في رأسها تزدحم، وهي
تلعن في سرها «المُتدِينين» أجمعين، وتشتم «الخال اللئيم»، وتصب
جام غضبها على واقع سيئ بئيس وتحسد سمك البحر وعصافير
السماء على حريتها.

فأي شريعة تلك التي تحرمها من إنسانيتها فتجعل حواء في مرتبة
دون مرتبة آدم؟
وأي قانون هذا الذي يهين كرامتها فيلقها بقماسة سوداء ويدفنها
خلف الجدار مدى الحياة؟
من هو هذا الذي منح «رجال الدين» سلطة التحكم العمياء في
ممارسات البشر؟
وأي رب هو هذا الذي يعبدونه ويتصرفون باسمه على الدوام؟

أليس الله حبيباً حنوناً وبعياله رؤوفاً رحيماً؟
 أليس مكوّن الأكوان الأدميّة منها وغير الأدميّة محبةً عادلة؟
 ولِمَن خلق الاله نعيم الشمس والقمر والبحر والنجوم والكواكب؟
 أليس واهب الوجود جعل الانسان معلّم الملك ومحلّ التكريم؟
 تملّمت في فراشها تندب قلباً من رحم المحبة وُلد، وروحاً
 من جوهر العرفان انبثقت، وبشرية «الاغبياء» اعتلت.
 وتوجّهت الى بارئها تدعوه وتتضرّع إليه في سرّها، فلن
 تُقدم «طقوس عبادة العبيد» المعتادة بعد اليوم بل ستُناجيه على
 طريقَتها، ولن تتبرقع بالذلّ والهوان لأن المحبة لا تدخل الا إلى
 الصدور العارية، ولن تخجل بعد الآن من جسدها فتخفيه بسراويل
 الجهل وتخفيه بجلباب الغباء الأسود، ولن تستسلم لإشريعة الجور
 المتسترة برياء «الفضيلة».

نَفَت الآه تلو الآه، وهي مُصمّمة أن تحيا كما تشاء وتُضيي
 يومها كما تُريد! فخلّف ظلمة ليلها شعاع مشرق ولطيفة نور في
 العيون تُسكب.

انسلت من فراشها و لأول مرة خَرَجَتْ دُونَ إِذْنٍ مِنْ أَحَدٍ
لِلتَّنَشُّقِ عَبِيرِ الْهَوَاءِ الْعَلِيلِ، وَتُلَوِّنَ بَشَرَتَهَا بِأَشِعَّةِ الشَّمْسِ دُونَ
خَسِيبٍ أَوْ رَقِيبٍ .

إنها أول يوم تَرَى فِيهِ الشَّمْسُ !
إنها بَنَتْ النُّورَ ! قَلْبُهَا يَخْفَقُ ! يَطِيرُ فَرْحًا!
فَتَغْنِي.....وَتَذْنِنُ لِحَبِيبِهَا :

بِالْحَقِّ أَحْبَبْتُكَ وَبِالْحُبِّ أَحَقَقْتُكَ
أَنَا تِلْكَ الدُّرَّةَ الْبَيْضَاءَ ...
وَفَاتِنَةَ اللَّيْلِ حَوَّاءَ
إِلَيْكَ الْيَوْمَ ... آتِيَةِ
أَسْتَقْبِلُ أَرْمَاقِي...وَأَيَّامِي الْوَرْدِيَّةَ
فَأَنَا ... عَذْرَاءٌ بَرِيَّةَ

أَخْلَقْتَ يَا آدَمَ الْكَوْنَ
تَعَالِ نَخْرُجْ إِلَى ذَاكَ الْحَقْلِ...
نَنْظُرُ ...أَأَزْهَرَ الْلَوْزِ؟؟
أَمْ نَوَّرَ رِمَانَ الْوَادِي؟؟

فإِنِّي أَسْمَعُ الآنَ صوتَ... يمامتي
وَالنَّهَارِ يَفُوحُ عِنْدَ خَدْرِي ... حَمِيمِيَّةَ
فَسَّرِيرِي...مَنْ أَرَزْ لِبْنَانِ
صَاغَهُ الرَّبُّ مَحَبَّةً عُدْرِيَّةَ
بَنَتِ النَّوْرَ أَنَا أَفِيضُ حَنَانًا ...
شَمَالِكَ تَحْتَ وَجْنَتِي
وَيَمِينِكَ حَوْلَ الْبَاقُوْتَةِ الْحَمْرَاءِ تَرْتَسِمُ...
وَحَسْبِي أَنَا شَفَتَاكَ الْقَرْمِزِيَّةَ

كَمْ أَنْتَ جَمِيلٌ .. جَمِيلٌ .. حُلُو المذاق ...
أَدْخِلْنِي حَبِيبِي حَانَهُ زَيْبٍ
أَرْسَمَ اسْمَ الرَّبِّ بِالزَّعْفَرَانِ ... أَشْرُهُ
عَسَاهُ يَخَالِطُ دَمَاءَ أوردني
فأنا بنتٌ كونيّة

عند صاحبِ الكبريتِ الأحمر

تَنهَـادِي فِي مَسِيئِهَا وَكَأَنَّهَا عَلَى جَنَاحِ النَّسِيمِ حُمِلَتْ، فِي
وَجْهِ الشَّمْسِ تُحَدِّقُ، أَطْلَقَتْ يَدَيْهَا وَفَنَحَتْ كَفَّيْهَا عَلَّ كُلَّ ذَرَّةٍ رِيحَ
تُلَامَسُ خَلَايَا قَلْبِهَا، فَاْمْتَرَجْتَ رَوْحَهَا بِنَفْحَةِ عُلُوِّيَّةٍ أَسْكَرَتْهَا مَحَبَّةٌ
وَجَمَالًا وَحَرِّيَّةً.

جَبِيهَا خَالٍ إِلَّا مِنْ قُرُوشٍ مَعْدُودَةٍ. تَمْشِي إِلَى حَيْثُ لَا مَكَانَ.
لَا أَصْدِقَاءَ لَدَيْهَا تَطْرُقُ بَابَهُمْ، وَلَا حَبِيبَ بَشَرِيٍّ عِنْدَهَا تَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ،
وَلَا قَرِيبَ لَهَا تَقْصِدُهُ.

تَتَحَرَّكُ بِفَطْرِيَّةٍ كَطَائِرٍ مُهَاجِرٍ؛ حَالَتِهَا الْوَجْدَانِيَّةُ أَنْسَتَهَا
لَهَيْبِ تَمُوزٍ وَحَرِّهِ الشَّدِيدِ، وَلَسَعَاتِ أَشْعَةِ الشَّمْسِ الْمَصْلُوبَةِ فِي كَبِدِ
السَّمَاءِ؛ تُعْبِرُ الْأَحْيَاءَ الْقَدِيمَةَ وَتَمُرُّ بِالْبَاعَةِ وَأَطْيَافِ الْمُتَجَوِّلِينَ، فَلَا
تَرَى وَلَا تَسْمَعُ، وَكَأَنَّهَا رُوحَ طَيْرٍ طَاقِيَّةٍ تَسْكُنُ غَيْمَةً رَبِيعِيَّةً وَقَفَتْ
عِنْدَ تَحُومِ فَرِيدِ الدِّينِ الْعُطَّارِ حَيْثُ "لَا شَرْقَ وَلَا غَرْبَ"، وَمِنْ
فَلَسَفَةِ الرِّيحِ تَفَارِقُ سَرِبَهَا فَتَدْنُو مِنْ أَصْفَى مَنَبَعٍ لِلْمَعَانِي.

ترانيم تنبعث من قلب الشوق القديم تُعلن انتصاف النهار،
ومن مندّبة عتيقة يترنم صوت أزليّ يلامس قلبها فتصعق روحها.

وذون وعي نحو القطب تُجذب، فتجد نفسها أمام قلب شيخ
العارفين الأكبر النابض في دائرة العرض والجوهر¹.

لم تكن الصبيّة في ربيعها الرابع عشر تعلّم عن حكيم
الأندلس شيئاً، ولا تدرك من فلسفة الوجود معرفة، ولا تعرف عن
الحكمة أمراً، ولم تكن تجيد من الأدب والشعر شيئاً يذكر، وتجهل
تماماً أنّ الأرواح تتألف وتتلاقى، وأنها كالمعادن منها أقطاب تجذب
بنورها من به وله !

1 - محيي الدين أبو بكر محمد بن علي، المعروف بالشيخ الأكبر ابن عربي، ولد
في مرسية بالأندلس 1165م وتوفي في دمشق 1240م، ويعد الشارح الأكبر للتصوّف
وصاحب نظرية وحدة الوجود في الفلسفة الإسلامية.

وهنا نشير الى مذهب ابن عربي في فهم الجوهر عبر استدعاء نصي حيث يقول :

لقد صار قلبي قابلاً كلّ صورة * فمرعى لغزلان، ودير لرهبان

وبيت لأوثان، وكعبة طائف * وألواح توراة، ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنّي توجّهت * ركائبه، فالحب ديني وإيماني

بَيَدَ أَنْ طُوفَانَ الْوَجْدِ اجْتَاَحَهَا بِتَرْجَمَانِهِ، وَعِنْدَ ذَلِكَ الْمَقَامِ
اِكْتَسَحَهَا بِعِنَقَانِهِ، وَكَجَوْهَرٍ سَدِيمِيٍّ اخْتَرَقَتْهَا رُوحُ صَاحِبِ الْكِبَرِيَّةِ
الْأَحْمَرِ!

وَكأنه نَظَمَ لَهَا قَصِيدَتَهُ مِنْ أَلْفِ عَامٍ لَهَا :

”تَنَاقَضَتِ الْأَرْوَاحُ فِي غَيْضَةِ الْغَضَا
فَمَالَتْ بِأَفْنَانٍ عَلَيَّ فَأَفْنَانِي

وَجَاءَتْ مِنَ الشُّوقِ الْمَبْرَحِ وَالْجَوَى
وَمِنْ طُرْفِ الْبُلُوى ، إِلَيَّ بِأَفْنَانٍ

تَطُوفُ بِقَلْبِي سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ
لَوْجِدِ وَتَبْرِيحٍ وَتَلْتُمُ أَرْكَانِي“¹

1 - محيي الدين بن عربي: ترجمان الأشواق ، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3،

2003 ، ص 40 – 44

وَكَيْفَ لَا تَتَّأَوَّحُ الْأَرْوَاحَ وَبَنَتِ النُّورَ " تُدِينُ بِدِينِ الْحُبِّ " دُونَ
أَنْ تَدْرِي !

تَنْزَاحُ الْحُرُوفُ وَتَحْتَفِي النُّقْطُ، يَفْرَغُ ذَهْنُهَا فَتَغِيبُ...
تَفْنَى فِي الْجَمَالِ وَتَغْرَقُ فِي صَمْتِ مُطْبِقٍ وَ سَكِينَةِ خَالِدَةٍ حَيْثُ لَا
اتِّجَاهَ وَلَا زَمَنَ وَلَا كَلِمَةَ وَلَا شُعُورَ.....

وَبُنُورٍ سَرْمَدِيٍّ بَاهِرٍ تَغْمُرُهَا مَحَبَّةٌ عَائِيَّةٌ حَيْثُ الْجَوْهَرُ الْإِلَازِمُنِي
وَالْبِرَاءَةُ النَّامَةُ ...
فَتَغِيبُ تَدْنِنُ بِكَلِمَاتٍ :

كَمَا الْأَعْصَارُ أَعَشَقَكَ
أَطِيرَ إِلَيْكَ الْيَوْمَ وَمِنْ سَهْمِي أَرْحَلُ بَعْدَكَ
فَيَا لَهْفِي عَلَى وَجْهِ الْتَوَرِّ فَأَجَانِي...
فَأَفْسَى عَنِّي الْقَمَرُ

وَفِي بَحْرِ الشَّهَادَةِ ذَوَّبَنِي مَرَّتَيْنِ
بِالْأُولَى كُنْتُ وَجَدًا
وَمَرَّةً عَانَقَ بَيْتِي الْوُثْرُ

أَتَمَحَى الزَّمَانَ عَنْ قَلْبِي وَبَمَنْطِقِ الطَّيْرِ عَبر
سَأَعْزِفُ سِرِّي مُوَاجِدًا ...
فَتَرَفَّقَ بِي كَيِّ الْحَزَنِّ
رَمَّا الْيَوْمَ لِعَلِّيمِ السَّرِّ كَلِيمِ
يَحْوُلُ بَيْنِي وَبَيْنَ حَبِيرَتِي
فَقَلْبِي مِنْ فَرْطِ الْعَشَقِ تَغَطَّرَ

واهبُ الصُّوفِ

في عصرِ صاحبِ العصورِ

عندَ حَضْرَةِ صَاحِبِ الْكِبَرِيَّتِ الْأَحْمَرِ ذَهَلَتْ بِنْتُ النُّورِ عَنْ
أَنَاهَا فَانْقَضَى النَّهَارُ!

بِخُطَى ثَقِيلَةٍ تَعْبُرُ بَابَ الْمَقَامِ وَعَجُوزٌ يَتَأَلَّقُ نُورًا بِالْبَابِ
يَقِفُ، فَأَهْدَتْهُ كُلَّ قُرُوشِهَا وَمَضَتْ غَيْرَ أَبْهَةٍ بِطَرِيقِ الْعُودَةِ الطَّوِيلِ.

فِي مُنْتَصَفِ سُوقِ "الْجُمُعَةِ" الْقَدِيمِ يَلُوحُ لَهَا الْعَجُوزُ
الْأَبْيَضُ نَفْسُهُ؛ فَإِذَا هُوَ بَائِعٌ لِلْمَلَابِسِ الْقَدِيمَةِ جَوَّالٌ بِصُرَّةٍ قَمَاشِيَّةٍ؛
تَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَأَعْطَاهَا مَلَابِسَ صُوفِيَّةٍ بِالْأَيْدِي حِكْمَتٍ؛ تَشْرُدُ فِي
غَيْبِهِ وَتَعْتَذِرُ بِصِمْتِ الْبَصْرِ، فَيُثْبِتُ لَهَا أَنَّهُ عَطَاءٌ عَارٍ عَنِ الْأَثْمَانِ
وَوَهْبٌ دُونَ مُقَابِلٍ.

تصمت...

تلامسُ سِرَّ الاشارة، وتحتضنُ اُرْدِيَّةَ الصُّوف الثلاثة بِوَدٍّ
وَتَمْضِي.

طريقها يتّجهُ من حيِّ الشيخ مُحْيِي الدِّينِ الْوَاقِعِ على اطرافِ
الصّالحيّةِ إلى منطقة ابن النّفيس...

كانت تَنْتَفِسُ حُرِيّةَ عميقة، تَنَسَّابُ بين البيوت في منطقة
”أبو كرش“... الأزقة القديمة تشعرها بدفءٍ عارِمٍ...

وكانَّ المَدِينَةُ تُعرفها منذُ زمنٍ بَعِيدٍ قَدِيمٍ!
بَلْ وَ يَعْرِفُهَا كُلُّ الْيَاسَمِينَ النَّابِتِ عَلَى جُدْرَانِ الْبُيُوتِ الْعَتِيقَةِ...
وتعرفها كُلُّ الأشجارِ التي تراوِدُها عَصَافِيرُ جَبَلِ قَاسِيُونِ!

نعم، وَيَعْرِفُهَا حَتَّى هَدِيرُ نَاعُورَةٍ هَذَاتِ وَ حَتَّى خَرِيرُ نَهْرٍ عَبْرٍ!
حَتَّى أَحْجَارُ الدُّرُوبِ الْقَدِيمَةِ الْمُتَرَاصَّةِ السُّوداءِ الَّتِي تَلْمَعُ تَحْتَ
أَقْدَامِهَا تَنْطُوقُ مَعْرِفَةً خَالِدَةً!

فَلَا زَالَ هُنَاكَ عِنْدَ الْأَمْكَنَةِ الضَّيْقَةِ حَجْرٌ يَأْبَى أَنْ يَتْبَرَّقَعَ بِإِسْفَلَتِ
الْهَمَجِيَّةِ!
تُعَانِقُ الشُّوقُ.... تَسْتَنْشِقُ عِطَرَ الْوَرْدِ....

تُسَايِرُ بَقَايَا نَهْرٍ يَزِيدُ "الجاف"، الذي سيوصلُها مِنَ الصَّالِحِيَّةِ غَيْرَ
رُكْنِ الدِّينِ إِلَى المِيطُورِ حَتَّى بَرَزَةِ.

كَانَتْ الصَّبِيَّةُ لَا تَدْرِي عَنِ الْأَحْيَاءِ الدَّمَشَقِيَّةِ وَأَهْلِهَا شَيْئاً
يُذَكِّرُ، فَعَانَلَتْهَا تُقِيمُ بِشَكْلِ مَوْقَتٍ فِي دِمَشْقٍ هَرَباً مِنَ الْحَرْبِ الدَّامِيَةِ
وَلَهَيْبِ الْمَدَافِعِ الْمَشْتَغِلَةِ الَّتِي أَحْرَقَتْ بَيْرُوتَ بِأَهْلِهَا وَأَشْجَارِهَا
وَجَعَلَتْهَا أَثْراً بَعْدَ عَيْنٍ .

تَعْبِرُ الْبِنْتُ الْحَيَّ تَلُو الْحَيَّ بِخَفَةٍ!
وَكُنَّ النِّقْعَةُ مَسْقُطَ رَأْسِهَا فَالْدَّهْرُ اجْتَاَحَهَا، فَازَاَحَهَا إِلَى حَيْثُ
لَا مَكَانَ يُحَاصِرُ بِالْإِدْرَاكِ، وَلَا زَمَانَ يُحَسِّبُ بِالْأَوْقَاتِ.

وَكأنَّ حُلْمًا نَاجَرَها اِبْداعِ المَجهولِ العَائبِ فارْتَمَتْ في عَصْرِ آخرِ
تَعرِفُه جَيِّدًا !

وَيَنبَعثُ صَوْتُ مَنذِيةٍ على يَمِينِها يُعَلِّنُ غُرُوبَ النَّهارِ !
وَحارَةُ الحَلالاتِ على يَسارِها تَتَلأَلأُ بِأنوارِ المَنازلِ المُثراصَةِ...
وَموسيقى الوجودِ تَتجاوزُ بها المَكانَ وتَنزأُ بِسِريرَتِها عَنِ البَصَرِ،
فَيَنفَرُدُ الابداعُ في أَعالي الزَّمانِ، و ترنيمَةٌ تَتناغمُ مع إيقاعِ الكونِ
تَنبَعثُ من مَقامِ عبدِ الغني النابلسي حيث الرُؤى تَعبرُ بِها عَنِ مألُوفِ
الأحلام !

يَجتاحُها حَنينٌ عَرِيبٌ !

تُراوِذُها أَطِيفُ الشَّراكِمَةِ وأرواحهم، وَيَحْتَقِي بِها أبناءُ
الأتابِكَةِ، وتَشمَعُ أَنَّ زُكْنَ الدِّينِ بنِ مَنكورسَ وَبَنِي أُيُوبَ مارُونَ
أَمامَها عَندَ حارَةِ الجَبَلِ وَقَد خَرَجَ أَكرادُ مِيطورَ لاسْتِقبالِها !

فَتُنْشِدُ لِلشَّامِ وَأَهْلِهَا :

يَا شَامَ أَوْقِنِ أَتِي أَعْرِفُكَ
تَعْرِفِنِي كُلَّ الْقَبَابِ الْحَمَرِ

فَنَاعُورَةُ الْجَامِعِ تَعْرِفِنِي
وَقَنْطَرَةُ التَّكْتَةِ وَجِدَارِيَةِ الْحَجَرِ

وَرُوحُ أَحْبَبْتِي مِنْ هُنَا عَبَّرْتُ
أَسْمَعُ وَقَعَ زَعَالِهِمْ
وَصَهِيلَ الْخَيُْولِ الْعَادِيَاتِ
وَحَرِيرِ النَّهْرِ

وَيَبِّحُ قَلْبِي!
كَيْفَ عَاشَ تَالِقَ عَصْرِ

كُنتَ فِي فَتْحِ عَصْرِ الْجَهَالَةِ انْكَطَر
رَبَّ يَوْمٍ كُنْتَ فِيهِ سَامِيَةً
فَهَوِيَّةُ الرُّوحِ تَتَجَاوَزُ كُلَّ حُدُودِ الْبَشَرِ

أَلْتَقِيَ فِي بَرْزَخِ التَّارِيخِ أَحِبَّتِي
عِنْدَ أَكْبَرِ شَيْخٍ ...
حَكِيمِ الْمَغْرِبِ وَحَكِيمِ الشَّرْقِ
صَاحِبَ الْكِبَرِيَّةِ الْأَحْمَرِ

فِعَاصِمَةُ الْكَوْنِ جَمَعَتْ فِي أَكْنَافِ دِمَشْقِ
جَنَاتِ عَدْنٍ وَسَحَرِ أُنْدَلُسِ
وَطَيُورِ الْعِطَارِ
تُعَايِقُ فِي حَارَاتِ السَّمَامِ الشَّجَرِ

حبيب في الطريق

سكون الليل يُعَسِّسُ وَالشَّمْسُ تُودِّعُ الْأَشْجَارَ بِخُيُوطِ حُمْرَاءَ
صَافِيَةٍ، وَالسَّمَاءُ مِنَ الْأَرْضِ تَقْتَرِبُ، وَبِسْرٍ هَادِي نَحْوَ اللَّانْهَانِي
الْأَبَدِي تَبْتَهَجُ!

وَمِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي تَجِدُ "بنت النور" حبيبًا قَدْ حَضَرَ!
أَنَامِلُهُ شُبِكَتْ حَوْلَ خَاصِرَتِهَا.... تَتَلَمَسُ يَدَيْهِ الدَّافِنَتَيْنِ وَتَلْتَفِتُ فَلَا
تَرَى شَيْئًا، تَدُورُ حَوْلَ نَفْسِهَا فَلَا تَجِدُ هَيْكَلًا بَشَرِيًّا!

تَتَلَمَسُ خَاصِرَتِهَا مَرَّةً أُخْرَى تُدَاعِبُ أُنَامِلُهُ وَتَغْمِضُ عَيْنَيْهَا، تَسْتَسْلِمُ
لِحَدْسِهَا، وَعَقْلُهَا مِنْ كُلِّ مَنْطِقٍ أَفْرَغُ!
تَنَاهَدِي فِي خُطَوَاتِهَا، تَسْمَعُ وَقَعَ نِعَالٍ غَيْرِ نِعَالِهَا! تَتَوَقَّفُ مَرَّةً
أُخْرَى... فَيَتَوَقَّفُ وَقَعَ النِّعَالِ!

تُخِيمُ السَّكِينَةُ بَرَهَةً، ثُمَّ تَمْضِي...

إيقاعُ خطواتِ الحبيبِ تُرافِقُها، وفي أذنها تسمع حفيف
أقدامه، وذراعهُ تلفُ عُنقَها بِحنانٍ عَرِيبٍ... تتلمّس ذراعه مُجدداً
وتستسلم له دون أن تُبصر في عالمِ الأبدانِ شيئاً!

تُسِرُّ لِنَفْسِها:

فليكن لي رَفِيقَ إذن! فلا ضَيرَ من حبيبٍ يتموِّج في داخلي حتّى وإن
كان مجردَ شَبَحٍ !

تُدنِّد بصوتٍ خافتٍ تُسلمُ على حبيبٍ لا يرى، بيد أنّ المحبة
عَمَرَتها حتّى النخاع وسريان دفنه اكتسح كيانتها حتى الصميم...

تترنم... تشكر ربّها الذي وَصَفَ نَفْسَهُ بِحَبِّ كائناته.. لاشك
في أنّه أرسل لها مَنْ يونس مسيرها ...
تُكرّر السَّلامَ عليه بِشوقٍ دائِمٍ إلى الأبدِ مَوْضُول...
وكان صَوْتًا أزلّياً خرج من كهفٍ عميقٍ في جَبَلٍ قاسيون:

المجد للقدوس!... ويتردد الصدى : قُدُّوس.. قُدُّوس ... قُدُّوس!
وَجْهَهَا يَزْدَادُ احْمِرَارًا، وَحَرَارَةُ جَسَدِهَا تَجَاوَزَتْ حُدُودَ الْحَرَارَةِ
الْمَعْهُودَةِ لِلْأَدَمِيِّ الْحَيِّ، تَنْلَمَسُ خَدَّهَا فَتَشْعُرُ بِظُلِّ وَجْهِ الْحَبِيبِ
يَلَامَسُ بَشَرَتَهَا ...

تَهْمَسُ إِلَيْهِ حَائِيَةً :
إِلَيْكَ مُوَاجِدِي أَنْوُحُ بِهَا نِيَاحَةُ عَاشِقٍ، تَكْوِيهِ دَوَاعِيِ الْاِشْتِيَاقِ، فَمَنْ
”أَلْفَ الْوَجْدِ بَكَى، وَمِنْ شَفَةِ الشَّوْقِ شَكَى“ كَمَا يَقُولُ الْإِنْدَلَسِيُّ

فإليك يا نبع المحبة سلام!

وَتُسَلِّمُ عَلَى الْخَبِيبِ :

حَبِيبِي ... لَمْ يَبْقَ لِي مِنْكَ إِلَّا الْخَيَالُ

فَهَلْ بَعْدَ الشَّخْصِ إِلَّا الْخَيَالُ؟؟

وَهَلْ بَعْدَ الصُّورَةِ سِوَى مَعْنَى الْجَمَالِ؟؟

أَحْنُ إِلَيْكَ... أَتَوَقَّ لِوَصْلِ لَيْلَى وَ سَعَادُ

حَبِيبِي اشْتَاقْتُ رُوحِي لِرُوحِكَ وَالْاِتِّصَالِ

أَحْنُ حَنِينٍ مَغْرَمٍ لِأَنْسٍ وَ وَجْدٍ وَوُصَالِ

أَحْتَاجُ إِلَيْكَ وَتَتَوَقَّ رُوحِي أَبَدًا إِلَى التَّرْحَالِ

فَلْتِ حَبْلَتِي نَعَمْ!

نَعَمْ ..وَلَسْتُ فِي مَنَازِلِ الْأَبْدَالِ!!

فَهَلْ لِقَائِي بِكَ فِي عَالَمِ الْأَبْدَانِ هَذَا مُحَالٌ...؟؟

نَظَرْتُ إِلَى السَّمَمِيسِ فِي الصَّحَرَاءِ عِنْدَ الزَّوَالِ
 سِيرْتُ وَ سَاوَرَنِي حَنِينُ ارْتِحَالِ
 فَهَامَتْ رُوحِي بِجُوبِ الْأُودِيَةِ تُنَادِي الْجِبَالَ
 كَرْتَقِبَ لَيْلَ الْأَنْبِيسِ بَعْدَ طَوْلِ صَبْرٍ وَ احْتِمَالِ
 فِي ذَاكَ الْمَكَانِ عِنْدَ الْمَسَاءِ بَعْدَ طَوْلِ ... ارْتِحَالِ
 اسْتَبَدَّتْ بِي مَوَاجِدِي وَاشْتَغَلَ فِيَّ الْحَالِ
 انْسَحَبَتْ مِنِّي طَاقَتِي وَخَالَطَ جِسْمِي انْسِلَاقُ
 نَزَفْتُ الْآهَ.....تَضَرَّعْتُ لِرَبِّي ذِي الْجَلَالِ
 أَتَسْمَعُأَنَا نِي تَرَعْدُ تَتَصَدَّعُ لَهَا الْجِبَالُ!!
 إِلَيْكَ أَلَامِي تَعْرِفُهَا ...فَحَالِي مِنْكَ وَإِلَيْكَ أَلْ

آه... على آه... على آه....

أَلْتَنِي جِرَاحِي التَّازِفَةَ مِنْ دَاءٍ وَاعْتِلَالٍ
وَمَازَجِ عَقْلِي الْجَنُونِ وَخَالِطِهِ... الْخَبَالُ
إِنَّهَا أَعْرَاضُ عِشْقٍ.....إِنَّهُ مَرَضٌ عَصَالُ
قَهْلُ سَيَّائِنٍ لِي مَعْشُوقِي بَعْدَ حَالٍ بِحَالٍ؟؟

عِنْدَمَا صَمَتَ قَلْبِي تَوَارَدَتِ وَحْدَةُ الْاعْتِرَالِ
وَسَهَرَتِ عَيْنِي فَسَامَرْتُ..... أَحْبَبْتِي بِدَلَالِ
فَلَكَ الْحُبُّ مِنِّي حَبِيبِي وَالسَّلَامُ... فِي كُلِّ حَالِ
لَجَدُ عِشْقَكَ أَزْفَ الْوَدِّ خَالِصًا مُوصُوفًا بِالْكَمَالِ
فَكُمُ تَشْوَقُكَ لَذَاكَ الْحُبُّ تَحْرَقُكَ لَذَاكَ الْجَمَالُ!/!
فَاحْضَنِي حَبِيبِي.... وَهَبْنِي بَعْضًا مِنْ ذَاكَ الدَّلَالِ

عِنْدَ غَيْبِ الْمَغِيبِ

وَتَمْضِي بِنْتَ النُّورِ عَلَى جَنَاحِ حَبِيبٍ لَا تَعْرِفُ عَنْهُ شَيْئًا،
تَنْهَادِي عَلَى غَمَامِ شَوْقٍ مَخْمَلِيٍّ أَبْيَضٍ، تَبْعَثُرُ مُوَاجِدَهَا حَتَّى فَقَدَ
الْإِرَادَةَ، وَرَأْسَهَا مِنْ كُلِّ مَعْنَى أَفْرَغَ، تَرَاوِدُهَا الْأَفْكَارُ وَتَضْمَحُلُ
ذَاتَهَا، فَتَنْتَابِهَا مَشَاعِرُ مُتَضَارِبَةٍ، وَكَأْسُ نَشْوَتِهَا الشَّفَافُ امْتَزَجَ
بِعَكْرَةِ خَوْفٍ غَرِيبٍ.

السَّمَاءُ أَقْفَلَتْ عَلَى حَمْرَةِ شَمْسٍ تَأْفُلُ دُونَ اسْتِذَانٍ، وَزُرْقَةُ
النَّارِ تَمْتَزِجُ بِأَرْجَوَانِيَةِ الْمَغِيبِ ...
تَسْتَمِيلُ يَوْمَهَا أَلَا يَنْقُضِي، وَتَسْتَجِدِي نَهَارَهَا أَلَا يَنْفُضُ عَنْهَا،
وَتَسْتَحْلِفُ حَبِيبًا أَلَا يَغِيبُ !

تزدحم الاحتمالات في عقلها، وتتسارع الأفكار في رأسها، وتتلاطم
في جمجمتها كل التوقعات السلبية
يتلاشى فرحها ويستبدُّ بها قلق عجيب، وتستقيق على واقع تعيشه
أقلّ ما يقال فيه أنّه عنيف رهيب!

تطير مواجدها ويغيب عنها الحبيب!
تتلفّت حولها بجنون طفلٍ فقدَ أمه لتو... تبحثُ عنه بروجها
وجوارحها أجمعين... تدور حول نفسها!
تستنفر قلبها وتقاوم خوفها باستجلاب الهدوء والسكينة ...

كيف لا، ومقامُ المحبة الصافي لا يتألف مع جيفِ القلق، و عكرة
الخوف لا تتواءم مع صفاء الوداد...

الليل يقترب "وعقلها" ينن وينزُ بإصرارٍ عنيد:
 ألا هلمي إلى "الببيب" عودي! ف"العائلة" لا شك تنتظر!
 ولهبب الغضب على أحرّ من الجمر!

تتعالى ضربات قلبها المخلوع فتُسرع الخطى حثيثاً، و
 الدرب تحت أقدامها تمدّه الدروب، فلا الطريق تنطوي ولا المسافة
 بسُرعة سيرها تنقضي.
 تتحول هرولتها الى ركضٍ سريع، وكفرسٍ بريٍّ أصليٍّ أصيلٍ
 تنطلق، فيتطاير شعرها العجريّ الأجدد الطويل، والدّماء حوّلت
 وجهها الى حمرةٍ ورديةٍ أنيقة.
 تعدو تسابق الرّيح! وتدفع هواءَ تموز الساخن بشموخ
 صدرها، فيلتصق ثوبها الصيفيّ بجسمها النحيل، ويتكسر الحرير
 على جسدها فتتكشفُ تقاسيمُ جمال أنثويٍّ ربانيٍّ أخاذ...

تَلَفُ نَفْسَهَا بِذِرَاعِيهَا وَتَتَحَوَّلُ إِلَى حُورِيَّةٍ سَابِغَةٍ فِي الْفَضَاءِ !

طَاقَةُ السَّلْبِ الْمُنْبَعِثَةُ مِنْ نَفُوسٍ "أَقَارِبُهَا" تَصِلُهَا، وَكَأَنَّ
صَخْبَ وَعِيدِهِمْ وَهَمَّهُمَ الشَّرَّ وَحَسِيسَ نَارِ قُلُوبِهِمْ تَلَامَسُ سَمْعَهَا..
فَتَمْتَصُّ غُفَّ الْأَنْفَسِ، وَتَتَبَعُ مِنْ دَاخِلِهَا أَنْوَارَ عُلُويَّةٍ تَمْنَحُهَا سِرًّا
عَجَائِبًا وَإِصْرَارًا فَرِيدًا عَلَى مُقَاوَمَةِ الْإِرْهَابِ وَالْخُنُوعِ ...

إِحْسَاسٌ بِالْخَوْفِ يَلْسَعُهَا فَتَرْتَقِي بِشَوْقِهَا عَلَى أَجْنَحَةِ بُرَاقٍ
عَنِيدٍ ...

تَتَجَاوَزُ قَلْقَهَا بِطَيْبِ السَّمَاحِ، فَتَتَفَرَّدُ أَجْنَحَةُ الْمَحَبَّةِ وَتَسْلُمُ
قَلْبَهَا لِمُكُونِهَا بِالْكَامِلِ .

وترمقُ بقايا خيوط شمسٍ وتبوح لِبارئها تتم بكلمات !
عند نقطة البّوح:

ولي بوحعند المغارب
أحمل شغاف قلبي لطقاً
و لكلّ العالمين أهديه
لئن عرّفْتهم ...
و من لم أعرفهم ...
من عوالم الإنس والملك وغيره
من برزخٍ و نوحٍ
ودنيا كوكب الحس

أَرْفَعُ صَلَوَاتِي ...
وَلْيَكُنْ التَّكْوِينُ أَرْجَى
أَنْ تَعُودَ الْأَكْوَانُ الْأَدَمِيَّةُ
سَائِلَةً أَرْوَاحَهَا
كَمَا فِي حَضْرَةِ التَّكْوِينِ قَدْ كَانَتْ ...
هِيَ الْأَمَالُ ... أَعْقَدَهَا
مَعَ إِدْبَارِ كُلِّ مَغِيبٍ
وَلَا يُقْبَالُ كُلُّ سِحْرِ صَلَاةٍ
مَحَبَّةَ اللَّهِ
لَا أَسْأَلُهُ فِيهَا حَقًّا وَإِنْ حَظَّيْتُ بِهَا
غَيْرَ أَنِّي لَا أَبْتَغِي سِوَى الْوَدَّةِ عَيْنَهَا

وَسَلَامًا سَاكِنًا يُحْتِمِ
عَلَى عَالَمِ الْأَكْوَانِ قَاطِبَةً
أَفْنَى بِهَا وَجْدًا... وَأَنْعَتِقَ
كَيَّ أَوْلَدَ مَعَ وَلَدَتِهَا
فَجَرَا وَعِطَاءٌ لَا أَبْغِي عَنْهُ حَوْلًا

تِلْكَ الْفِرْدَوْسُ الَّتِي أَعَدَّهَا حَبِيبِي
كَأَنْتِ .. وَلَمْ تَزَلِ لِلْعَاشِقِينَ نَزْلًا
وَهُوَ الَّذِي أَسَارَ بَايَةً
أَنْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَاتِ وَدَّهِ
لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُهُ
وَلَوْ جِئْنَا مِنْهُ مَدَدًا

أَجِدُّ مَوَاقِفَ قَلْبِي الَّتِي قَطَعْتُهَا عَهْدًا
أَتِي لِإِفَاضَةِ رُوحِكَ
رُوحِي تُعَكِّفُ عِبَادَةَ

فِي غَيْبِ الْغَيْبِ تَضَمُّجُ نَارَةٍ
لِتُبْعَثَ كَمَا تَشَاءُ مَجْدًا

بنت النور في قفصِ الاتهام

دَخَلَتْ بِنْتُ النُّورِ كَهْفَ الظُّلْمَةِ بنورِهَا المُنَوِّهِجِ، فـ«البَيْتِ»
اسْتَنْفَرَهُ الْعَضْبُ الْعَارِمُ وَأَحَالَهُ حَقْلَ هَشِيمٍ غَرَبَةً وَأَسَى يَجْتَأُحُهُ شُرُّ
الْكِرَاهِيَةِ وَالْحَقْدِ...

فَإِزْمَجِرْ صَوْتُ هَادِرٍ: «أَلَا لَعَنَ اللهُ الْمُخْتَفِي والمُخْتَفِيَّةِ...
أَيْنَ كُنْتَ أَيْتَهَا الْعَاهِرَةُ السَّاقِطَةُ؟! أَلَا تَعْلَمِينَ أَنَّ خُرُوجَ الْمَرَأَةِ بِلَا
«مَحْرَمٍ» وَدُونِ اسْتِئْذَانٍ جَرِيْمَةٌ كُبْرَى؟

وَبِالْسِّنَةِ سَلِيْطَةٍ حَادَّةٍ تُقَدِّمُ «بِنْتَ النُّورِ» لِلْمُحَاكَمَةِ وَعَنْ
سِرِّ اخْتِفَائِهَا طِيْلَةَ الْيَوْمِ تُسَاءَلُ!

وَبِهْدْوٍ يُلَامِسِ السَّكِينَةَ أَشَاحَتْ وَجْهَهَا عَنْ «الْفِرْعَوْنَ»،
وَنَحَوَ النَّاطِرَاتِ الْمُرْدَحِمَاتِ التَّفَتُّتِ، وَبِصَوْتِ كِبْقَاعِ جَرَسٍ هَيْكَلٍ
مُبَارِكٍ نَادَتْهُنَّ قَائِلَةً:

إِنَّ «الطَّاعِيَةَ» الَّذِي تُبَجِّلُهُ مَا أَقَامَهُ «سَيِّدًا» عَلَيْكَ إِلَّا
اسْتِسْلَامَكَ وَخُضُوعَكَ، وَأَنْ جُبْنَ إِيْمَانُكَ جَعَلَهُ «إِمَامًا» فِي
صَلَاتِكَ وَ «قَدِيْسًا» فِي مَعْبَدِكَ...

يُحَاوِلْ ذَاكَ «الرَّاعِي» إِدَانَتِي لِأَنِّي أُسِيرُ حَاسِرَةَ الرَّأْسِ
مَكْشُوفَةَ الْفُؤَادِ، وَيَعْمَلُ عَلَى إِذْلَالِ عُنْفَوَانِي، وَتَعْذِيبِ جَسَدِي، وَ
وَصَفِّ عَاقِلَتِي بِأَبْشَعِ الْأَوْصَافِ وَأَقْدَرِ الْعِبَارَاتِ...

أَمَا وَأَنْكَنْ وَقَفَنْ تَشَاهِدَنْ صَدَى أَلْمِي مُهَانَةً كَفَرِيَسَةً تَوَجَّعَتْ
بَيْنَ مَخَالِبِ سَبْعِ ضُرُوسٍ، فَنَعَمْ ؛ وَأَلْفَ أَلْفِ نَعَمْ لَتَمَرِّدِي..

نَعَمْ، أَنَا تِلْكَ الشَّرِيرَةُ الَّتِي أَبْتَأَنَّ أَنْ تُقِيمَ هَذَا الْجَاهِلَ وَصِيًّا عَلَى
حَيَاتِهَا فَخَرَجْتَ عَنْ رَسَنِ سُلْطَتِهِ لِأَنَّ الْحَرِيَّةَ لَا تَحْتَاجُ لِأَوْصِيَاءَ..

نَعَمْ، أَنَا تِلْكَ الْمَرْأَةُ الْمَلْعُونَةُ الَّتِي لَا تَقْدَرُ مُجَرِّمًا لَمَعَتْ
سُمْعَتُهُ بِذَبْحِ الْأَبْرِيَاءِ وَرَجَمِ الْفَاضِلَاتِ، لِأَنَّ الْفَضِيلَةَ لَا تَقَاسُ إِلَّا
بِزَاهَةِ الْأَرْوَاحِ...

نعم أنا تلك الصبية التي سَمَّيْتُوْهَا «عاهرة» لأنَّها خَرَجَتْ
عَنْ نَامُوسِ الْجَبْنَاءِ!
نعم أنا التي حملت «سَفَاحًا» بأفكارٍ تَمَرَّدَتْ عَلَى زَيْفِ
عَيْشِكُنَّ البائِسِ الأَلِيمِ، فَطَاهَرَةَ الْإِنْفُسِ لَا تَعْتَرِفُ بِتَدْنِيْسِ الْأَبْدَانِ.
فَأَيْقِظُنْ قُلُوبَكُمْ أَيْتِهَا «السَّيِّدَاتِ»!

جَرِيمَتِي أَيْتِهَا النِّسَاءُ أَنِّي أَدْرَكْتُ سَبَبَ يُوسِكُنْ وَ تَعَاسَتِكُنْ،
وَأَحْسَسْتُ بِثَقَلِ قِيُودِكُنْ، وَذُنُوبِي هِيَ شَفَقَتِي عَلَيْكُمْ وَأَنْتُنَّ قَابِعَاتُ
فِي دَهَالِيزِ الْغَبَاءِ، مُتَسَتِّرَاتٌ خَلْفَ أَكْوَامِ السَّوَادِ، مُحْتَجِبَاتٌ عَنْ نُورِ
السَّمَاءِ...

وَأَنِّي كَوَاحِدَةٍ مِنْكُمْ، عِلْمَ الْيَقِينِ أَعْلَمُ أَنَّ حَوَاءَ كَانَتْ عَارِيَةً
فِي الْبَرَارِيِّ تَحْتَطِبُ، وَ أَمَامَ وَجْهِ الشَّمْسِ وَقَفَتْ ذُونُ حِجَابٍ .

نعم، أنا تلك المغضوبُ عَلَيْهَا الَّتِي عَنْ شَرِيعَةِ «تُجَارِ الدِّينِ»
خَرَجْتُ، لَا تَوْمَنُ بِتَعَالِيمِ الْجَهَالَةِ الَّتِي تُفْقِدُ إِنْسَانِيَةَ الْإِنْسَانِ وَتَحُولُهُ
إِلَى كَمِيَّةٍ لَحْمٍ يَتَقَالَبُ بَيْنَ الْخُدُورِ، وَيَخْدِمُ سَيِّدَهُ الْجَبَّارَ الْعُسُوفَ، وَلَمْ
تَعْمَلِي مَأْسَاتِكُنَّ الَّتِي حَوْلَتِكُنَّ إِلَى مَتَاعِ لَشَهْوَةِ الذُّكُورِ.

أقف اليوم أصرخ بوجه ذنبٍ ينهشُ بأنابِهِ حَيَاتَكَ، علَّ
صوتي يُوقِظُ روحَ قَطيعِ خَدْرَتِهِ الأيَّامِ.
أنتنَ بعددِ اللَّياليِ نَسَاءَ لُنَّ وفي سَرِيرَتِكُنَّ أَسْرَرْتُنَّ: متى
يُنْحَسِرُ الظلمُ، ومتى من جَلبابِ الأُسْرِ نَنْعِقُ؟
ولكنني أقولُ لَكُنَّ:

إنَّ العُصفورَ الذي ذُبِحَ في مِخدَعِ الزُوجِيَّةِ يَتَمَلَّلُ راقِصًا
دونَ إرادةٍ ولا يَعْرِفُ؛ بيدَ أنَّ النَّاطِرَةَ مَنكَنَ تَعَلَّمَ أنَّ أرواحَكُنَّ تَتَوَجَّعُ
أثناءَ الليلِ وأطرافَ النَّهارِ، وأنتنَ في كُهوِّ الظلمَةِ قابِعاتٍ، لا تَجِدُنَ
سوى المأكَلِ والخدمةِ، وفي الليلِ تُسْتَبَاحُ أبدانُكُنَّ لعنفِ الذكورِ!

ألا تَهَبُنَّ وانتنَ تَسْمَعُنَ نَعَمَ الحُرِّيَّةِ يشدو في أذانِكُنَّ؟
كم من الوقتِ جَلَسْتُنَّ على الأَسِيرَةِ مُتَحَسِّرَاتٍ على ماضٍ
أليمٍ وحَاضِرٍ لم تَخْتَرْنَهُ ومُسْتَقْبَلٍ غامِضٍ تَخْفَنَ منه؟
ما الذي تَحْصِلُنَ عليه لقاءِ خَدَمَتِكُنَّ غَيْرِ رِقِّ العَبوديَّةِ
واستِباحَةِ أجسادِكُنَّ لَتَلَذُّذِ ذَكَرٍ هانِجٍ مَائجٍ؟

هذه حياتكن أيتها النساء الخانعات، وان كنتن في بروجٍ
 مشيدةٍ وقصورٍ منعمةٍ، هذا هو الظلام المٌخيمٌ على معيشتكن أيتها
 التعيسات الحزينات، هذا هو الألم الدفين القابع في أعماق قلوبكن،
 هذه أطياف الذلِّ والشقاء التي بها تتلعمن.
 نعم، أقف باسم عدالةٍ من فرط المَظالم توجعت، أقول لكن:

نفوسكن في قبضة «مدعي الحقيقة» و«مزيفي الشريعة»
 وأجسادكن في قبضة «رذيل» لا يرى فيكن إلا آلةً للانجاب
 ومستوعبا لنفايات الشهوات، وقلوبكن تعتصر اليأس وتشرذ
 الأحزان ...

ان «الإمام» الذي تحترمونه وتهابونه وتقيمونه «وصيًا»
 على حياتكم وأسرار انفسكم، ليس إلا خائنًا يدعي «امتلاك مفاتيح
 الجنان» ويجعل من الكتاب المنزَّل أداةً لتحقيقك، ومن تأويلاته
 المُنحرفة سبيلا لإذلالكن.

أيتها النساء ألا ترين أنّه لصّ محتال متحجّر الفؤاد ينتزع منك
 تعبك ويستمتع بميراثك ثمّ يتصدّق بفئاته عليك؟
 فينمو بجهودك ويمتلىء كرشه بنفودك، وانت تخدمه وتتبعه
 وتقدم له كلّ فروض الطاعة والولاء ليمنحك «المسامحة» و
 «براءة ذمة» كاذبة أمام الرب وأمام مجتمّع احترف الخداع.
 وهل يقبل الله ان تكن مردولاتِ مظلوماتِ مُحَقَّرَاتٍ لغبي
 يستعبد أيامك ويستبيح حرمة أجسادك ؟

وهل الناموس الرباني يَرْضَى لَكِنَّ ظِلْمَةَ الموتِ في شمسِ
 الحياة ؟ فكيف ترفعن دعاءكن الى السّماء ثمّ تُذَلُّ رقابكن أمام بشري
 تمنحه السيادة عليكم؟؟؟

نظرت إلى مَنْ حولها كأشباحٍ لأنفسِ خائفة، وقد خضع
 الواقفون والواقفات لسكوبٍ عظيم...

لملمت نفسها واحتضنت روحها، وأدبرت في دُھولِ دُونِ
 أن تلتفت؛ وانطلقت من جديد الى حيث لا تعلم !

وتكتب في الطريق قصّة تروي بها حكاية الإبداع!
حكاية بنت النور:

حملت جنينها بحنانٍ ومشت
تعتّرت ... تلتفت وراءها
خلفها شيء رّمّا بل أشياء
شبح أو خيال

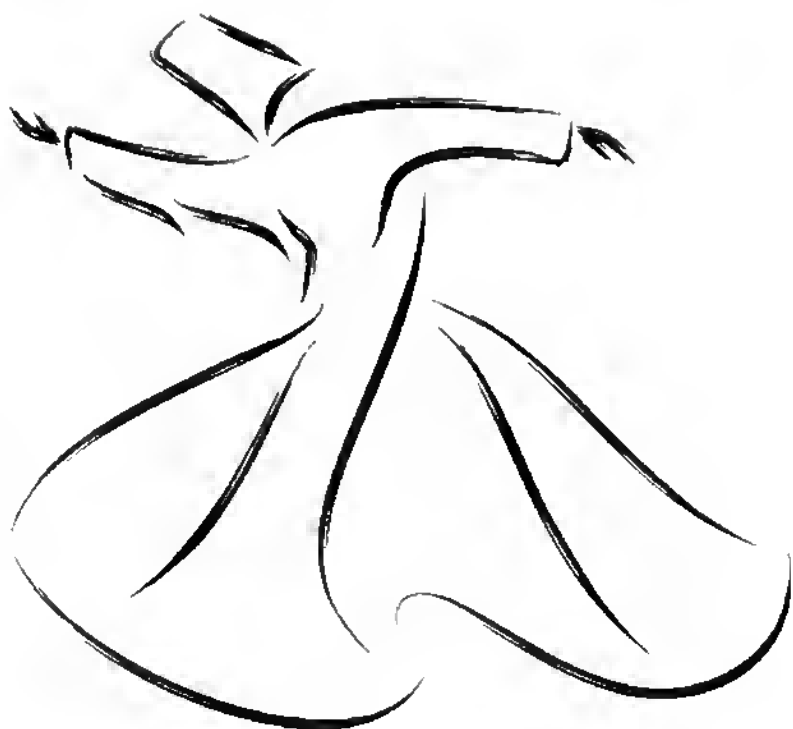
أمطرت عينها ... دمعاً
فأمطرتها السماء ... ماءً
تتلفّت بحذرٍ ... تتعتّرت بحجرٍ
شعرها الأجدد بتطاير على وجهها
احتضنت نفسها ببديها

بالأمس كانت شريدة... فَحَلَّتْ
واليوم طريدة.... بسبب حَمَلِهَا
نظرت.... نظرت الى البعيد
أطلَّت الى المستقبل بعَيْنِهَا
لا ترى شيئا... دارت حول نفسها....
لا ترى سوى كائناتٍ.....
بليدة.... صغيرة..... حقيرة.....
الدماء تخرق بأورديها
وحولها عيونٌ خَدَقُ
وأشباح تقتربُ
تتحدى شرر العيون... بطيب قلبها
تدفع عن نفسها الأشباح... برقة ابتسامتها

إته المساء / والظلام كثيف ..
والعيون شاخصة ترصد الشاردة والواردة
ألسنة سليطة حادة
قلبها يرجف ... برّدا
و روحها تتحدى خوفا
الجنين يرتعد بداخلها بشدة
يطالبها أن تقاوم! وتقاوم!
قلبها يخفق
نظرت الى نفسها...
أشلاء وسط الضباب ...
لممت أجزاءها ..
احتضنت مفردات نفسها
من أين تبدأ؟؟
تكهّدت بعمق مأساتها

كُوجِّهَتْ نحو..... الفضاء
ونجمة عالفه وسط السماء
خفق جنينها مشجعاً
فانطلقت نحو الدُّرة البيضاء

هناك عند الشمس... وَضَعَتْ جنينها
في وسط الغيوم ... غَفَت
ووليدها يرضع صفاء قلبها
يُشَبِّهها ... قلبه يشعّ نورا
وابتسامته ... تشرق صفوًا
نظرت من فوق الى الأفق هناك ...
فلا مكان لها إلا في كبد السماء
وتبيّنت أنّها ملاك في قصر الأحلام
فروحها لا تنسع للعيش وسط الظلام
ووليدها لا مكان له في دنيا اللئام
فإبداعاتها لا أبدًا تعرف لغة الأقزام/



بِنْتُ النُّورِ فِي مَنَازِلِ الْاِخْتِبَارِ

الرَّاهِبَةُ

تَمَرَّ الْأَعْوَامَ وَتَعُودُ كَوَرَّ عَلَى كَوَرٍّ فَتَنْعُدُ الْمَوَاقِيتَ وَتَتَمَحِي
رَسُومَ الْأَيَّامِ، وَتَزْدَادُ كَاتِبَةَ اللَّيَالِي رَتَابَةً.
تَتَأَمَّلُ بَنَاتِ النُّورِ تَصَارِيفَ الْقَدَرِ وَتَسْتَجِدِّي الْحِكْمَةَ كَيْ
تَصْلِحَ ضَجَرُ الْوَاقِعِ، وَتَسْتَطْلِعَ الْغَيْبَ عَلَيْهَا تَرْفَعُ غُرْبَةً تَجْتَاحُهَا.

عَشْرَةُ أَعْوَامٍ انْقَضَتْ بِلَمْحَةٍ وَقَدْ أَوْشَكَتْ ثَلَاثَةُ عَقُودٍ مِنْ
عَمْرِهَا أَنْ تَنْقُضِي فِي غَفْلَةِ الْحَيْرَةِ وَمَوَاكِبِ الْعَمَلِ، رُوحَهَا تُسَائِلُهَا
مَقَامَاتٍ سَامِيَةٍ لَا تَبْلُغُهَا نَوَامِيسُ الْبَشَرِ، وَرَنَّةُ الْوُجُودِ تُلَامِسُ قَلْبَهَا
عَانِقَتَهُ الْأَغَانِي السَّمَاوِيَّةَ، فَيَمَا تَتَكَسَّرُ أَشْوَاقُ الْوُجُدِ عَلَى صَخْرَةِ
حَيَاةٍ لَمْ تَخْتَرَهَا، وَتَمَزَقَهَا عَاصِفَةُ الْإِخْتِبَارَاتِ فَتَرَى عَمْرَهَا مَشُوهًا
بِالْآلَامِ، مُثْقَلًا بِالْأَحْزَانِ.

شَهر أيار يذكرها بربيع بلاد الشام، وَ رائحة أُرزِ لبْنان،
 وَبساتين ذاك الوادي في «ملتقى النهرين»، فَتَسْتَشعر مذاق اللوز
 الأخضر الحامض الممزوج بالملح في فمها، وعطر الياسمين
 النَّابت على الجدران الرُّطبة
 وللربيع أطياف صَبِيَّةٍ حَسَناء تَوْضأت بِشلالٍ واعتكفت عند مغارة
 تجفف شَعرها.

مُشاهدٌ لا تُنسى... تمرّ كخيالاتٍ عابرة !

تَنَامُ بنت النور يَدَها، وتَلَامِسُ سَمَكتها!
 تَقْرَأُ في تجاعيد الجراحِ مَرَّ تَعَبها اليومي المُنكر أَنَا بعد أَنِ !
 تَرى في أظافِرها المتقَصِّفة خُشُونَةً أَعْبأها المنزلية القاسية !
 لَقَدْ تَلَفَ جَسدها في تَكَرُّر المهامات الرتيبة ...
 وتَأَكَلت بشرتها بِفعلِ الخدمات المَتَوَاتِرة

تَتَنَهَّد بِعمقٍ علَّها بالحسرة تُعيد بَدَأَ تَضارُع الياسمين بياضاً
 وَكفّاً تلامس الحريرِ نَعومةً .

تَسْكُتُ... وَتُطِيلُ النَّظَرَ فِي كَفِّهَا، وَكَأَنهَا تَقْرَأُ رَوَايَةَ حَيَاةٍ
تَتَعَانَقُ فِيهَا الْأَفْرَاحُ الضَّئِيلَةُ بِالْأُتْرَاحِ الْعَمَلَاةِ تَعَانِقُ الْأَنْوَارُ
بِالنَّيِّرَانِ.

يَخْفِقُ قَلْبُهَا لِغَامِضَاتٍ لَمْ تَتِمَّكُنْ مِنْ حَلِّ رَمُوزِهَا يَوْمًا.
فَلَا زَالَتِ جَمِيلَةُ الْقَوَامِ وَالرُّوحِ كَمَا كَانَتْ عَلَى الدَّوَامِ، تُدَثِّرُ
نَفْسَهَا بَوْشَاحِ تَحَبُّهِ، وَوَجْهَهَا كَحِلْمٍ تَلْقَاهُ هَالَةٌ طَهَرَ قُدْسِيَّةً، وَتَتَرَقَّرُقُ
فِي عَيْنَيْهَا كَأَبَةٍ جَارِحَةٍ عَمِيقَةٍ فَيَنْسَلُ الدَّمْعُ كزَيْتِ أَيْقُونَةٍ مُبَارَكَةٍ ،
يَكَادُ يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسُسْهُ نَارٌ.

تَشْعُرُ بِأَنَّهَا فَقَدَتِ شَيْئًا مِنْ تَوَازَنِ قَلْبِهَا !
فَلَا هِيَ تُجَارِي رُوحَانِيَّتَهَا الْبَازِخَةَ وَعِشْقَهَا الْإِلَهِيَّ الْمُبَارَكِ، وَلَا هِيَ
فِي عَالَمِ الْإِنْسِ مُسْتَأْنَسَةٌ نَاجِحَةٌ.

فَفِي «أَسْرِيَّتِهَا» غَرِيبَةٌ ، وَمِنْ «شُرَيْكِهَا» مَسْتُوحِشَةٌ!

تُخْرِجُ وَرَقَةً صَفْرَاءَ مِنْ مَكْتَبِهَا الصَّغِيرِ وَتَطْلُقُ لِمَوَاجِدِهَا
الْعَنَانَ تَرْوِي حِكَايَةَ رَاهِبَةٍ عَاشِقَةٍ:

رَاهِبَةٌ هِيَ ... مَوَاجِدِي
لَوْلَا قَطْرَةٌ مِنْ زَيْتِ دُمُوعِي
انْسَلَّتْ

لَحَسِبْتُني أَيْقُونُهُ عَذْرَاءٍ بِالسَّمِيعِ ...
صَلَبَتْ

وَيَعِيدُ الْقَطْرُ الْمُقَدَّسُ الْحَيَاةَ ... لِيُوجِدِ
مِنْ قَرِطِ الْأَضْطِلَامِ
تُسَقِّقُ!!

أَتَزُولُ الْأَمَاكِينَ
وَالْأَزْمَانَ تَحْتَفِي
يَحْضُورُ مَنْ ... أَهْوَى ؟؟

أَجَلُ /
وَمَعَايِدُ الْعَبِيدِ ... تُهْدَمُ /

أَسْئَلُهُ مِثْمَةً :-

أَتَتَوَلَّى... أَنَا؟؟

بَتَوَلَّى... أَنَا

بِرَغْمِ كُلِّ الْأَسَاطِيرِ

وَالْحِكَايَاتِ... وَالْأَسْفَارِ

وَالْآيَاتِ

وَمَا هُوَ فِي أَعْرَافِ الْعَبِيدِ ... مَقْدَسِ

أَعْذَرَاءَ... أَنَا؟؟؟

عَذَرَاءَ... أَنَا

بِرَغْمِ الْجُنُونِ وَالْخَطِيئَةِ

وَجَسَدٍ فِي عُرْفِ الْجَاهِلِينَ

تَدَنِّسُ

زَاهِبَةٌ... أَنَا

فِي خَائِبَةِ الدَّيْرِ ... أَنْزَوِي

بِحُضْنٍ مِنْ... أَهْوَى

أَسْتَرْقُ ... قُبْلَةً

كَجَدُولٍ فِي فَيْهِ... تَدْفُقُ

زَاهِبَةٌ... أَنَا

بِغَيْرِ الْعَيُونِ أَرَى ... حَبِيبًا

وَاصْطِلَابَ وَجْهِهِ ... تَرَانِيمَ

فَخُطُوطَ يَدَيْ إِجْمِلَ ... جَسَدُ

زَاهِبَةٌ... أَنَا

كَيَانِي فِي مَلَكُوتِ الْعِشْقِ .. تَصْدَعُ

وَحِسِّي سَرْمَدَ سَكَنَ

وَبِرْعَشَةِ الْحَبِيبِ ... تَوَحَّدَ

أَسْأَلُكَ حَبِيبِي الْيَوْمَ

عَنْ سَيِّرٍ... رَاهِبَةٍ

لَهَا فِي الْعَشِّقِ قُكُونٌ

وَفِي حَبِّ الْأَلَوِ سَيِّرٌ... تَقْدَسُ

الرَّهِينَةُ

تَنَامِلُ بِنْتُ النُّورِ وَتَبْحَثُ فِي أُخْيَلَةِ الْفِكْرِ وَالتَّدْبِيرِ عَنْ مَخْرَجٍ
يُعِيدُ الرَّبِيعَ إِلَى صَحْرَاءٍ وَأَقْعَاهَا الْقَاحِلَةَ، فَنَفْسُهَا لَنْ تَجِدَ الرَّاحَةَ إِلَّا
بِالِاسْتِنَاسِ إِلَى نَفْسٍ تُشَاطِرُهَا الْغُرْبَةَ .

وَتَتَسَاءَلُ عَنْ سِرِّ عِلَاقَةٍ بُثِرَتْ، وَقَلْبٍ فَقَدَ مُحَاوِرَهُ، وَتَوَاصَلِ
جَمْدٍ بِالصَّبْرِ وَحُجْبٍ بِجِدَارِ صَمْتٍ مُطْبِقٍ . أَلْعَلَّ انْقِلَابَاتِ الدَّهْرِ
بَرَقَعَتِ النَّقَاحَ بِالْقَنُوطِ وَاضْمَحَلَّ الْوَرْدَ عَلَى أَطْرَافِ غَصْنِ اقْتُلَعِ
مِنْ أَرْضِ الْمَحَبَّةِ ؟

تُبْحِرُ بَعَيْنَيْهَا إِلَى الشَّقَقِ حَيْثُ حُمْرَةُ النَّهَارِ تُعَانِقُ زُرْقَةَ
الْمَغِيبِ، وَتُطْلِقُ صَوْتًا يَرْتَعَشُ مِنْهُ الْمَوْجُ مَتَكَسِّرًا عَلَى أَقْدَامِ
الشَّاطِئِ.

تُنَشِّرُ أَشْرَعَةَ رُوحِهَا الْبَيْضَاءِ وَتَسْتَقْبِلُ رِيَّاحَ الْوَجْدِ وَتُبْحِرُ!
وَتُبْحِرُ عَلَهَا تَجِدُ لِمَسْأَلَتِهَا حَلًّا! وَلِلْغَزِّ الْجَفَاءِ جَوَابًا!
وَتَعُودُ وَقَدْ خَبَأَتْ تَعَاوِيزَ الْمَحَبَّةِ وَاسْتَنْهَضَتْ طَيْبَ الرُّوحِ،
سَتَهْدِيهَا لِلشَّرِيكِ عَلَيْهِ يُسْكِنُهَا قَلْبُهُ لَا بَيْتَهُ!

وَتَكْتُبُ فِي الطَّرِيقِ أَنَّيْنَهَا عَلَّهْ يَسْمَعُ نَدَاءَ امْرَأَةٍ مَهْجُورَةٍ

أُنَادِيكَ فِي سِرِّي ..

وَبِي شَغَفٍ

أَبْنَاهُ مَشَقَّرًا إِلَيْكَ عِبْرَ الْعَصُورِ

فِي مَرْقٍ شَرُودَ عَيْنِيكَ

وَجَسَدِكَ الْمُنْهَكِ

وَلَا يَحِلُّهُ أَحَدٌ سِوَاكَ ...

وَلَا تَفْكُهُ إِلَّا أَنَا مَلِكُ

الْمُنْحَوْتَةِ حَوْلَ خَاصِرَتِي

وَعَبَقِ شَفْتَيْكَ الْخَمُورَتَيْنِ

أحترقُ أُنسى....
لهجرِ عينيك لي
واعتصر ذاكرتي عشرة أعوام
فهل تذكر؟
تحت شجرة اللوز ...
هناك عند الأفق
حين التقيك سابقاً
حيث رائحة الهوى
تُسافر على دروب وصلِ الحقيقة

اقتربك مني يومها
عندما غضى القمر على وجنتي
وغابت الشمس بين أهداي
فأزحك وسأح الحزن
عن صدري
وتنشقت عبير روعي
ونزعت عني
كل القشور رغم تمنّعي
وتركتني عارية
كالدرة المنثورة

ضاق عليّ جثمانِي
وروحِي.... تُكَلِّي
تفتشُ عنكَ....
تبحثُ اليوم ...
عن سِرِّ تلكِ العلاقةِ المبتورةِ

سافركُ الى ملوكِ الجان
أبحثُ عن الزمان الهارب مني
في غابات السّحر
أصطادالرّقى
عليّ أداوي بها نزيف عيني
وجرح السهامِ المكسورة
غطست في أعماق المحيط
استنجد بتلك الحورية
أفتنّس عنها في بحر الظلمات
أقطع القفار
عليّ أجد
عرّافة ... مشهورة
خلّ لغرّ غريتي لي
وسرّ مشاعرك المهجورة

هناك عند الجزيرة
وقفت عند سور قصر ساحرة
ارتعش وسط الدخان
اشتتّم بخور عشقك
أغيب وأحضر في إيقاع
دوتها

يرتعد يقصف :
أنتِ عروس مرصودة ///
مرصودة // مرصودة /
طيري .. طيري بكتابي هذا
لحبيبك يتلوه عليك اليوم
فتزول عنك
أعراض المسّ
وجنون الأم المفجوعة

حَبِيبِي أَحْمَلْ إِلَيْكَ الْيَوْمَ
الدَّرَّةَ الْبَيْضَاءَ رَوْحًا تَسْبِيحُ
وَقَلْبًا يَنْبِضُ حَنَانًا
فَلْتَقْرَأْ حَبِيبِي عَلَيَّ آيَاتِ الْوَصْلِ
وَتَرَانِيمَ الْهَوَى
وَتَعَاوِذَ الْعَشْقِ... كَامِلَةً
وَامْسَحْ جُثْمَانِي بِرَيْقِ مَقْدِسٍ
فَأَنَا امْرَأَةٌ مَسْحُورَةٌ

كَرَمِي

أَطَلْتُ إِلَى الشَّارِعِ بَعُيُونَ زُجَاجِيَّةٍ، وَنَحَوَ السَّمَاءِ وَجَّهْتُ
قَلْبَهَا، أَطْلَقْتُ شَعْرَهَا لِلْهَوَاءِ، فَالْمَشْيِ صَدِيقِ الْأَزْمَاتِ وَالشَّارِعِ
وَنَيْسَ مَنْ لَا أُنَيْسَ لَهُ، وَمَنْ سُدَّتْ أَمَامَهُ سُبُلُ الثَّرَى تَوَجَّهَ بِفِطْرِيَّةٍ
نَحَوَ الثَّرِيَّا .

بِمُفْرَدِهَا تَوَاجَهَ الشَّاطِئِي هَذَا الْمَسَاءِ، فَلَطَلَمَا عَشِيقْتُ الْوَحْدَةَ
وَتَوَحَّدْتُ بِالْوُجُودِ وَبِرَبِّهَا عَلَى طَرِيقَتِهَا، وَبِالرَّغَمِ مِنْ كَثْرَةِ الْكَائِنَاتِ
الْبَشَرِيَّةِ حَوْلَهَا بَيَدَ أَنْ كُلَّ غَيْرِ الْحَبِيبِ فِي نَامُوسِهَا أَغْيَارُ !
بِصَدْرِهَا تَحْنُضُنُ النَّسِيمَ فَتَكْشِفُ عَنْ عُنْقِهَا الْمُثْقَلَ بِأَطْوَاقِ الْعُبُودِيَّةِ
فِي مُجْتَمَعِ الْخِدَاعِ، وَمِعْصَمٍ مِنْ فَرَطِ الْقِيُودِ تَشَقَّقُ .

تَتَلَفَّسُ بَعَمْقٍ ... تُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ الْهَوَاءُ إِلَى كُلِّ ذَرَّةٍ فِي
جَسَدِهَا، وَكَالْنُورِ يَسْرِي فِي هَيْكَلِهَا . تَتَحَسَّسُ وَجْهَهَا بِكَفِّهَا فَتَنْزِلِقُ
أَنَامِلُهَا عَلَى دَمْعَةٍ انْسَلَّتْ تُرْطَبُ وَجْهًا مِنَ الْمَعْنَى أَفْرِغُ .

كَمَا الْأَمْطَارُ فِي اللَّيْلِ تُرَاوِدُهَا أَحْلَامُ صَغِيرَةٍ، وَالْحَزَنُ يَسْكُنُ قَلْبَهَا
الْوَادِعَ كَمَسَاءٍ نَخْلَةٍ صَامِتَةٍ.
تُشَرِّعُ ذِرَاعَيْهَا لِلْمُحِيطِ وَتُطْلِقُ لِكَيْتُونَتَيْهَا الْعَنَانَ...

نَتَقَفُّ ذَاكِرَتَهَا وَتَبْحَثُ فِي نَكَالِيفِ الْحَيَاةِ عَلَّهَا تُعِيدُ الْعُمُرَ
الْهَارِبَ مِنْهَا فَتَنْسِجُ أَحْدَاثَهُ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي تُرِيدُ فَتَلَوْنَ
الْأَيَّامَ بِرَوْثِ الْبَهَاءِ، وَتُبَدِّلُ أَمَكِنَةَ الْبُؤْسِ بِجَنَّةٍ وَرَدِيَّةٍ، وَتُزِيلُ
الْإِنْفِعَالَاتِ الْمَوْجِعَةَ وَالْأَسَى بِطُمَأْنِينَةِ السَّلَامِ .

وَعِلْمَ الْيَقِينِ تَعْلَمُ أَنَّ السَّعَادَةَ تَكْمُنُ فِي أَنْ تَرَى مَا حَوْلَنَا كَمَا هُوَ لَا
كَمَا نُرِيدُ، وَأَنَّ دُرُوبَ الْحَيَاةِ لَا تُوطَأُ أَبَدًا مَرَّتَيْنِ، وَأَنَّ النَّدَمَ عَلَى
الْخَطَا غَلَطٌ كَبِيرٌ. وَأَنَّ اجْتِرَارَ الْمَاضِي بِزَهْوَرِهِ وَنُدُوبِهِ خُرُوجٌ عَنِ
انْسِجَامِ الذَّاتِ مَعَ آتَتِهَا الْحَاضِرَةِ .

تَسْتَجِدِّي أُغْنِيَةَ النِّسْيَانِ وَتُحْمَلُ وَزَرَ عَجْزِهَا لِضَعْفِهَا ، وَتَعُودُ إِلَى
نَفْسِهَا تُسَائِلُهَا:

هَلْ الشَّقَاءُ صَنِيعَةٌ مُمَارَسَةٌ لَنَا طَالَمَا تَوَقَّعْنَا صَوَابَهَا عِنْدَ وَقُوعِهَا
فَكُنَّا كَمَنْ سَاءَ سَعْيُهُمْ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ؟

وهل استمرارية «الذاكرة» المثقلة بالأوجاع و التَّوق الى
إشباع الرغبات عبر «التمنّيات» بمسْتَقْبَلٍ «مفتعلٍ مُزَيَّف» يُؤلّد
لديها حَاضِرًا نَاقِصًا فتُصبح الذات ساحة صراعٍ تُحول دون إطلاق
إمكاناتِها الروحية الدفينة؟؟

تَتَأَمَّلُ بِصَمْتٍ ... تُنصِتُ إِلَى صَوْتِ الْأَمْوَاجِ ...
تَسْتَحْضِرُ «كَرْمِي»¹ الْمَاضِي وَالْآتِي ...
تُطِلُّ بِرُوحِهَا إِلَى الْأَزَلِيَّةِ وَالْأَبَدِيَّةِ ...
تَتَعَتَّقُ مِنْ دُنْيَوِيَّتِهَا الْأَرْضِيَّةِ آتَةً ...
تُعَانِقُ الْمُحِيطَ ... تُلَامِسُ أَسْمَى الشُّوقِ

1 - رمى: فيزيائياً هي الفعل ، ومينافيزيائياً ، قانون الجزاء ، قانون السبب والنتيجة أو
السببية الأخلاقية . (المعجم التيوصوفي ، بلافاتسكي)
ويعرف ديميتري أفيريونس صاحب كتاب «مقالة في التَّمْصص» في تعريف قانون
«كرمي» أن «الجذر السنسكريتي كُرِ kri يتضمن معنى "الفعل" ويدل ضمناً
على دورة العلة والمعلول. كرمي هو قانون الدينامية الروحية law of spiritual
dynamics» ص 24. وهو يستشهد بالطبيعة وظواهرها، كتعاقب الليل والنهار
والفصول وأطوار القمر إلخ، ليدل على دورية التطور الكوني وليصل، بالتالي، إلى أن
هذه الدورية تستوجب الولادة بعد الموت بهدف الوصول بالإنسان إلى غايته الأسمى .

تَسْتَعِيدُ الْحَسَّ بِرِذَاذِ مَوْجِ الْبَحْرِ الْمَتَكَسِّرِ عِنْدَ أَقْدَامِهَا
تَشْعُرُ بِخُرِيَّةٍ غَامِرَةٍ تَتَفَتَّحُ فِي كَيْنُونِهَا مَحَبَّةٌ ...

تَدْخُلُ الْبَيْتَ تُعَانِقُ طِفْلَهَا بِغَبِطَةٍ...
ابْتِسَامَتُهُ رِسَالَةٌ لَهَا:

أَنْ مِنْ أَرَادَ رَاحَةَ رُوحِهِ ..
سَيَجِدُ نَفْسَهُ فِي الْمَحَبَّةِ لَا فِي تَمَلُّقِ الرَّغَبَاتِ

وَأَنْ إِزْدِهَارَ الْحَيَاةِ يَكْتَنِزُ عَوَالِمَ الْإِحْفَاقَاتِ عَلَى الدَّوَامِ .
فَعِنْدَمَا يَفْرَغُ ذِهْنُ الْمَرْءِ عَنِ الزَّمَانِ يَدْخُلُ عَالَمَ السَّكِينَةِ وَالْجَمَالِ !

وَتُشِيدُ عُمرُها كَفَتِيلَةٍ موجِزة:

رَبِيعُ العُمرِ...

جُمَدُ بَکْثِيرٍ مِنَ الصَّبْرِ

وَمَسَاحَاتُ الشُّوكِ

أَتَلَمَّسُها فِي عَالَمِ الأَمْرِ

كَمَا القَمَرُ عُلِقَ بِلا لَيلٍ يُحاورُه

وَوُجُوهُ مِنَ المَعْنَى أَفْرِغَتْ

يَتَعَجَّبُ طِفْلِي :

أَيَقُطُنُ فِي مَقَلَّتِكَ الْغَنِيمُ ؟!
أَمْ أَنْ رُحَامَ الْعَيْنِ يَحْمَرُ ؟!

أُغَايِرُ الْأَلَمَ
وَصَدَا مِغْزَلٍ يَخِيطُ الزَّمَنَ
وَسَمَاءَ أَفْعَالٍ عِنْدَ شَمْسٍ خَشْيِيَّةٍ
وَأَعْيُدُ حَفَرَ الْخُطَى بِعِنَايَةٍ ...
كَيْ لَا تَخْتَفِيَ

أُتَوَّنُ فِي حَرَسِ الصُّخْرِ ذَاكِرَتِي ...
أُبْعَثِرُ الْبُوسَ فِي صَدَى النُّسَيَّانِ

مُوجِزةٌ جِدًّا قَتِيلَةَ الحَيَاةِ
وَبِغُبَارِ الضُّوءِ تَنَقَّضِي
أَجَنَازَ حُبْلِ الوَقْتِ غَارِيَةِ الْقَدَمَيْنِ
إِلَى اللَانِيهَاتِي ...
حَيْثُ الأَمَلُ فِي زَيْدِ الأَخْلَامِ

أُنَقِّنَتْنِي الخَيَالَاتُ والرُّؤى
أَنَا بَلَكِ المَرَأَةِ
المَغْضُوبِ عَلَيْهَا
الَّتِي لَا تُقَدَّرُ أَحَدًا !

تَحْتَ الْحِصَارِ

تُكَافِحُ الْحَيْرَةَ بِصَرْفِ ذَهْنِهَا الْمُنْفَعِلِ غِنِ تَصَارِيفِ
الْحَيَاةِ، تُصِطَادُ الرُّقَى مِنْ كُتُبِ «النَّدِيرِ الدِّينِيِّ» وَتَتَلَوُ كَرَاسَاتِ
«الْوَصَايَا» بِانْتِظَامٍ. تَمَانَعُ الْيَأْسَ بِالْقَنُوطِ عَلَّهَا تُونِسَ «فِرَاغَهَا»
الْمَثْقَلِ بِضَوْضَاءِ الْأَحْدَاثِ، تَسْتَجْلِبُ الْمَوَاجِدَ «السَّارَةَ» عَلَّهَا
تَرْوِّحُ عَنْ قَلْبِهَا «الْمُنْفَطِرِ»، وَتَتَنَاهَى فِي زَاوِيَةِ سَرِيرِهَا تَسْتَجِدِي
«النِّسْيَانِ».

تَبْحَثُ عَنْ حَاجَةٍ لَا تَعْرِفُهَا، تُبَعِثُ صَدَى الْأَلَمِ حَتَّى فَقَدِ
الإرادة ..
تَطْرُدُهَا أَشْعَةُ الصَّبَاحِ فَتَحْمِلُ أَرْقَهَا اللَّيْلِ وَتَلْمِمْ هَجَعَاتِ رُوحِهَا
وَأَلْفَ فِكْرَةٍ فِي رَأْسِهَا تَدُورُ. تَمَنَّتْ لَوْ أَنَّ لِدِمَاعِهَا مِفْتَاحًا تُقْفِلُ بِهِ
سَبِيلَ «الْصُّورِ» الْمَكْتَنِظَةِ فِي جَمْعِمَيَّهَا الصَّغِيرَةِ، وَصَدْرُهَا يُضَيِّقُ
بِالْحُرُوفِ...

تُقَرَّرُ الرَّحِيلُ إِلَى حَيْثُ لَا تَعْلَمُ
 تَنْهَدُ عَلَّ هَاءَ الْآهِ بِالْغَيْبِ تَتَّصِلُ ونحو السماء تنصديح...
 حصارها ألم مبرح!
 حصارٌ يَسْرُدُ رَوَايَةَ مَوْجَعَةٍ لِمَرْأَةٍ لَا تَجِدُ فَنَ الْخَدَاعِ، فَقُيِّدَتْ بِمَخْدَعِ
 الطُّفُولَةِ وَأُسِرَتْ بِخَدْرِ الزَّوْاجِ
 ضاقت ذرعاً ببؤس الأنفس، وغُنف «التصرفات»، ونكد «الشُّكوك»
 المستوطنة في العقول المفخخة التي تدور حولها.

مأساتها أليمة كُتِبَتْ بِدُمَائِهَا، وَدُمُوعُهَا جَفَتْ ...
 بيد أن الرجال لا يفهمون دُمُوعَ السيدات! وَلَا يُمَيِّزُونَهَا عَنْ دُمُوعِ
 «الرَّقِيقَاتِ» الْخَانِعَاتِ! هَذِهِ هِيَ شَرِيعَةُ الْأَغْيَاءِ!

لقد أحببها كما أراد لا كما هي؛ وهي ما فتئت تبعثُ له الرسالة
 تلو الرسالة بحنانٍ على جناح طيرها الكسير الأسير، وبابتسامة أنيقة
 تُعالج جهله، وبنور وجهها تضيء طريقه، وبطيّب السّماح تفرد
 جناح الرحمة له، وبلين الكلام تُحاور قلبه، علّ تغريدها تفهمه أن
 الشجرة السّامقة لا يمكن أن تُصبح نهراً جارياً في الوادي وإن
 النّجمة لا تُدفن أبداً في التراب!

في ليالها المذلهمّ تجلسُ في سريرها تُدون سيرة فائتة تحت الحصار
 الحصار :

سَهَاءٌ حُرِّيَّتِي
حُسْنَاءٌ يَا لَيْسَ لَهَا سِرٌّ
وَبَصْمَاتُ أَقْدَامِهَا
خَفِرَتْ عَلَى وَجْهِ الْقَمَرِ
حَوْلَ نَاصِيئِهَا
مَدَارَاتُ النَّقْنِ يَا خَلِيلَ كَوَاكِبِ
وَكُوبِهَا مَجْرَاَتُ تَهَادِي
عَلَى إِقْفَاعِ رُحُلِ

أَسَدَلْتُ شَعْرِي عِطْرًا
عَلَى حُورٍ عَيْونِي فَأَسَدَلَّ

وَأَمَطْتُ مِنْدِيلَ الْحَرِيرِ
عَنْ حَرِّ وَجْهِي فَأُنْكَسَفَ
وَمِنْ خَلْفِ عُطْرِ الْمَاقِي ..
سَحَابٌ يَمْزُقُ لَأَيُّ عَلَى الْخَدِّ .. فَأَنْهَمَرَ

لَبِقْتُ لَنْ عَاشِقًا تَعَزُّدَ ...
دَسَّسْتُ قُبُودَهُ رَجِيقَ شِفَاهِي
حَتَّى أَحَرَّقَتْ
كَأْسَ الدَّمُوعِ مَذَاقِي

بِئْسَ التُّور أَنَا
 سَتَقْنِي الْوَجْدَ نَعْمُ
 وَكَيْفَ السُّوقُ يَسْتَقْنِي ؟
 وَطَيُّورِي سَلَامٌ بِلاَ أَجْنَحَةٍ
 حِصَارَ التُّورِ ... أَلَمْ مَنِيحْ
 وَمَخَاضَ رَمُوزِ الْهَوَى
 صَدَى أَلْيِي ...
 وَأَيْنَ نَوْحِي ...
 نَحْوِ الْعَرْشِ يَمْصُوحْ
 أَسَاقِي الزَّمَانِ صَبْرًا
 أَنْتَظِرُ فِيهِ أَنَّهُ
 نَحْوَ الْإِلَهِ أَتَعَيُّ

إلى الشمس مرة أخرى !

تَيَقِّظُ قَلْبَهَا !

فاحتضنت روحها وفارقت واقعها دون التفات !

سَيَقُولُونَ إِنَّهَا امْرَأَةٌ مُسْتَهْتِرَةٌ هَجَرَتْ عَائِلَتَهَا، وَمُهِرْطَةٌ لَعَنَتْ كَافَّةَ
المَعْتَقَدَاتِ !

سَيَقُولُونَ إِنَّهَا غَبِيَّةٌ خَرَجَتْ عَنْ نَعِيمِ «الرَّعَايَةِ» وَرِقَّةٍ «الْقُصُورِ»،
وَارْتَضَتْ أَنْ تَتَلَحَّفَ السَّمَاءَ وَتَقْتَرِشَ الْغَابَاتِ !
سَيَقُولُونَ إِنَّهَا أَهْدَرَتِ الْفَرَصَ «الذَّهَبِيَّةَ» وَتَأَلَّقَ «النَّجُومِيَّةَ» لَتُنَشَّغَلَ
بِصَغِيرِ صَغِيرِ الْهَوَايَاتِ !

سَيَقُولُونَ إِنَّهَا نَاشِئَةٌ تَسْتَوْجِبُ أَشَدَّ الْعِقَابِ !

سَيَقُولُونَ إِنَّهَا غَاهِرَةٌ تَتَعَبَّدُ خَطَايَا الْحَرَامِ !

سَيَقُولُونَ إِنَّهَا خَائِنَةٌ خَاصِمَتِ الْوَفَاءِ !

سَيَقُولُونَ إِنَّهَا امْرَأَةٌ رَحَلَتْ تُعَايِرُ الْمَحْرَمَاتِ !

سَيَقُولُونَ... وَيَقُولُونَ ... وَيَقُولُونَ

وَلأنَّ النِّفَاقَ اسْتَوْطَنَ مَخَادِعَهُمْ فَأَنَسَ الْخِيَانَةَ حَيْثُ نِيَامَ الْكَذِبُ فِي
زَيْفِ التَّجْمِيلِ!

وَلأنَّهُمْ ارْتَضَوْا تَلَفَ أَبْدَانِهِمْ فِي طَلَبِ زَخَارِفِ دُنْيَا الْخِذَاعِ!

وَلأنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ نُبْلَ الْحَرِيَّةِ.... وَلَا يَعْرِفُونَ مَعْنَى الْإِنْعِتَاقِ...

وَلأنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ نُبْلَ الْأَرْوَاحِ... وَلَا يَعْرِفُونَ نُبُوَّةَ الْعَشْقِ...

وَلأنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّ مَقَامَ الْأُنْتَى يَتَجَاوَزُ عَالَمَ الْأَجْسَادِ!

وَلأنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّ شَغْفَ الْحَرَّةِ لِلْهُوَى يَتَجَاوَزُ ارْتِعَاشَةَ الْحَوَاسِ!

وَلأنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّ الْوَرْدَةَ لَا تَنُمُو فِي الْمُسْتَنَقَّعَاتِ!

وَلأنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّ ظَمَأَ الرُّوحِ لَا يُرْوَى بِمِيَاهِ الشُّكُوكِ الْآسِنَةِ!

ولأنَّهم ولأنَّهم تُقرر الارتحال ...

وتُغادر ...

وتغادرُ عباءة العبودية مُخلَّفةً ورائها الدنيا بأسرها، مُنطلقةً
إلى مشيئة السماء التي لا تُريد للإنسان أن يتوجَّع في ليالي العمر،
ولأن نقاوة قلبها عرَّفَتْها أن الإله لا يتمجَّد إلا بسعادة الإنسان !

أطلقت شعرها الأجدع وانطلقت !

وعبرت بين القبور الحية وتكدس الأبدان، ونحو السماء
حوَّلت وجهها كي لا ترى خدما مضرخاً بالأشواك ...

عند شجرة الحرية تبتهج بمناجاة العصفير، و تبتسم لشروق صباحٍ
ترى فيه الشمس مرة أخرى!

المغادرة:

لَكِنْ ... مَنْ ذَا الَّذِي عَنَرَ الْجَدَاوِلَ نَظَّمَ الْمَحَبَّةَ ؟
وَالشُّمُوسَ عَالِقَاتٍ عِنْدَ حَافَةِ الْغَرْبِ

مُنَرَّقِبَةً ...

أَتَلَمَّسُ كَاجِلِي الْمَشْدُودِ إِلَى الْغَيْبِ
وَعَيْنَ لِلْوُثُوبِ تَتَوَقَّى

عِنْدَ قَيْصَانِ الدُّجَى ...

أَفَقَدُ الْاسْمَ الْمُرْهَفَ
وَأَرْتَقِي بِأَجْنَحَةٍ عَنِيدَةٍ

أَتَدْتَرُ بِالشُّوقِ ...
أُخْرِسُ الْوَرْدَ ...
أُبْعِثُ صَدَى الْوَجْدِ ..حَتَّى فَقَدَ الْإِرَادَةَ
يَطْرِدُنِي الضُّوءُ ...
يُمَشِّطُ مِخْدَعِي بِأَشِعَّةِ الْفَجْرِ
فَأَلْفَلِمَ مَجْعَاتِ الرُّوحِ
الْمَضْلُوبَةِ فِي قَلْبِ الزَّعْتَرِ الْبَرِّي

أَلِجْ هَيْكَلِي الْمُنَكَّرَ
أَطَا الدَّرْبَ الْأَرْضِي

فِي الْمِرْآةِ أَرَى رَسْمِي...جَسَدِي :
بَلْكَ مَا يَسْتَوْجِبُ مِنِّي الْمَغَادِرَةَ !

الفهرست

- إهداء 5
 من وحي العواصف 7
 رياح العواصف 11
 امتنان و عرفان 13

بِنْتُ النُّورِ عِنَقَاءٌ مِنْ نُونِ الْأَحْزَانِ وَلِدتْ

- ولادة دراماتيكية! من نُونِ التَّكْوِينِ إِلَى تَاءِ التَّأْنِيثِ 15
 بَيْتٌ مُنْقَسِمٌ 31
 شَرَارَةُ الْحَرْبِ وَ شَرَانِقُ الطَّائِفَةِ 38
 جَبْرٌ عَلَى خُبْرٍ 49
 أهات الحرب ومأهات التهجير 61

بِنْتُ النُّورِ تُدِينُ بِدِينِ الْحُبِّ

- إِلَهَ الْعَائِلَةِ وَبِنْتُ النُّورِ 91
 عِنْدَ صَاحِبِ الْكِبَرِيَّتِ الْأَحْمَرِ 101

- 107.....وَاهِبُ الصُّوفِ فِي عَصْرِ صَاحِبِ الْعُصُورِ.....
 113.....حَبِيبٌ فِي الطَّرِيقِ.....
 119.....عِنْدَ غَيْبِ الْمَغِيبِ.....
 127.....بِنْتُ النُّورِ فِي قَفْصِ الْإِتْهَامِ.....

بِنْتُ النُّورِ فِي مَنَازِلِ الْإِخْتِبَارِ

- 139.....الرَّاهِبَةُ.....
 147.....الرَّهِينَةُ.....
 155.....كَرَمَى.....
 163.....تَحْتَ الْحِصَارِ.....
 169.....إِلَى الشَّمْسِ مَرَّةً أُخْرَى!.....



مروة كريدية

تعد الكاتبة مروة كريدية واحدة من المهتمات بالقضايا الإنسانية واللاعنف، حيث تطرح العلاقات الاجتماعية والسياسية من خلال رؤية وجودية تتجاوز الانقسامات الاثنية والدينية والجغرافية، وقد عملت في ميادين فكرية متنوعة، ولها العديد من الاعمال الادبية والفنية التشكيلية والخواطر الشعرية والابحاث الميدانية في علم الاجتماع السياسي. شاركت في أعمال حوار الاديان واللاهوت المقارن، كما نشطت في ميدان الاعلام الثقافي.

من اصداراتِها:

- استراتيجيات الأمل في عصر العنف - مقالات في عنف السياسة والمادة - النايا للدراسات والنشر - دمشق - 2011
- لوامع من بقايا الذاكرة - ديوان شعري - الدوسري للثقافة الابداع - البحرين - 2010
- فكر على ورق- محاولة جديدة للإبداع - الدوسري للثقافة والابداع - المنامة - البحرين - 2009
- أفكار متمرّدة - في الفكر والثقافة والسياسة - شمس للنشر والتوزيع - القاهرة - 2008
- معابر الروح - ديوان شعري - شمس للنشر - القاهرة 2008
- مدائن الغربية - في الفنون التشكيلية - 2007

لها مدونات عدة على شبكة الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي منها :

Marwa Kreidieh

<http://www.facebook.com/Marwa.kreidieh.Writer>

https://twitter.com/marwa_kreidieh

<http://marwakreidieh.unblog.fr>